وزارة المعارف العمومية



المنتخب من أدب العرب

الجزء الأول

للسنة الأولى الثانوية

جمعه وشرحه

احمد الاسكندرى — احمد امين — على الجارم

عبد العزيز البشرى — الدكتور احمد ضيف

١٩٥٤

مطابع

دار الكتاب العربي بمصر

محمد حلمي المنياوي



فهرس الكتاب

صفحة

(ب) الشعر

مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله تعالى وسلم على سيدِنا محمدٍ خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فقد عدلت وزارة المعارف مناهج الأدب العربى ، كما أخذتْ غيرها بفنون التعديل . وكان تاريخ الأدب يُدرس فى المدارسِ الثانويةِ مبتدِئا من حيثُ يبتدئ الأدب ، ويظلّ مسترسلا إلى هذا العصرِ الذى نعيش فيه . فاجتمع رأيُها على أن يبدأ تدريسه فى هذه المدارِس من هذا العصرِ لأن أدبه هو الحاضرُ لهم ، الملابِس لِحسهم ، المترجِمُ عما يحيط بهم . فإذا انتهوْا منه ، ترقَّوْا إلى العصر الذى فوقه ، فإنه أدنى إليهم ، وأحْضَرُ منْ سواهُ لهم . هكذا . وكذلك وضعنا كتابَ : « تاريخ الأدبِ العربىِّ » ، وعلى هذا النحو حرَّرناه .

ولقد دعا ذلك ، بالضرورة ، إلى تغييرِ الوضعِ فيما كنا قد اخترناه من النصوصِ الأدبيةِ فى كتابِ : « المنتخب من أدب العرب » وخاصَّةً بعد إذْ فُرض تاريخُ الأدب ، وفى هذه المناهج الجديدة ، على طُلاّب السنتين : الأولى ، والثانية . ولم يكن لهما فيه حظّ كبير ولا صغير .

وقد أخرجنا هذا المنتخبَ الجديدَ فى أربعةِ أجزاء ، لكلٍّ سنةٍ من سِنِي التعليم الثانوىّ جزءٌ مقسوم .

وقد حرصنا أشد الحرص ، فى هذا الكتابِ أيضاً ، على أمرَين نرى أن لهما خطراً عظيما :

(الأوّل) أن تكون النصوص التى نختارها لكلِّ عصرٍ من عصور الأدب العربىّ مرآةً صافية ، وصورةً صادقة واضحة للحياة الأدبية فى هذا العصر ، على اختلافِ فروعها ، وافتراقِ نزعاتِ الشعراء والكُتّاب والأدباء فيها ، بحيث يستطيع المعلِّم أن يعتمد عليه فى تصوير ما يدرِّس للمتعلمين من تاريخ الأدب ، ويستطيع المتعلمون أن يجدوا فيه مِصْدَاقَ ما يسمعون من الأساتذة ، ويقرءون من الكتب من حقائقِ هذا التاريخ .

(الثانى) أن يكونَ ما اخترناه ، على صحة تمثيله للعصور الأدبية ، وصدق تصويره لشخصيَّات الأدباء ، ومذاهبهم فى الأدب ، فى جملته جميلا رائقاً ، وجزْلاً رائعاً ، خفيف الموقع من الأسماع ، لطيفَ المسلَك إلى النفوس ، يستطيع أن يبعثَ فى قلوبِ الشبابِ حبَّ لغتهم وأدبها ، ويرغِّبَهُم فى الاستزَادَة منهما ، والتفقُّهِ فيهما : وتوخَّيْنا ، إلى ذلك كلِّه ، أن يكونَ جُلُّ ما اخترناه من الشعر والنثر سهلاً يسيراً ، يلائم حالَةَ الشباب وطاقتَهم .

على أننا : فوقَ هذا ، ضبطنا الجزء الأوَّلَ بالشكل الكاملِ ، وتوسُّلا إلى أخذِ المبتدئينَ بالمنطق الصحيح للجديدِ عليهم من فَصيح العربية ، كما تَحَرَّيْنا شرحَ كلِّ ما يَغْرُبُ عليهم من مفردات اللغة ، حتى لاتختلط المعانى على أذهانهم على أنه كلما علت بهم السنون تَخَفَّفْنا من هذا وهذا بقَدر ، طوعاً لسنَّة التدريج .

ونحن نرجو أن نكونَ قد وُفِّقنا من ذلك إلى ما قصدناه ، والله وحدَه ولى التوفيق م؟

عصر النهضة الحديثة

(ا) النـــثر

---

١ ـــ الشيخ عبد الرحمن الجبرتى[1]

قال فى كتابه «عجائب الآثار فى التراجم والأخبار» عند الكلام على الحملة الفرنسية سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف :

وهى أوّلُ سِنِى المَلَاحِم[2] العظيمة ، والحْوَادث الجْسيمة[3] ، والوقائِع النَّازِلة ، والنوازل الهائلة ، وتَضَاعُف الشرور ، وترادف الأمور[4] ، وتوالى المِحَن ، واختلالِ الزَّمن ، وانْعِكاس المطْبُوع ، وانقلاب الموضوع ، وَتتَابُعِ الأهْوَال ، واخْتِلَاف الأحْوَال ، وفَسَاد التَّدبير ، وحصُول التَّدمير ، وعُمُومِ الخرَاب ، وَتَواتُر الأسباب : «وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصلِحُونَ» .

---

(١) هو مؤرخ مصرى ، ولد بمصر وتعلم بالأزهر . ونسبته إلى جبرت وهى الزيلع فى بلاد الحبشة . عينه نابليون حين احتلاله مصر كاتبا فى الديوان وكان مفتى الحنفية فى عهد محمد على باشا ؛ وأشهر مؤلفاته التاريخ المعروف باسمه ، قيد فيه حوادث مصر سنة ١١٠٠ ﻫ إلى سنة ١٢٣٦ ﻫ . وقد مات سنة ١٢٤٠ ﻫ . بعد أن كف بصره من كثرة البكاء على ابن له قتل .

(٢) الملاحم : جمع ملحمة ؛ وهى الحرب العظيمة .

(٣) الجسيمة : العظيمة

(٤) ترادف : تتابع .

في يوم الأحد العاشر من شهر محرَّم الحرَام من هذه السنة ، وردت مكاتبَاتٌ على يد السُّعاةِ من ثَغْرِ الإسْكَنْدَرِيَّة ، ومضمونُها أن في يوم الخميس ثامنِه حَضَرَ إلَى الثَّغْرِ عِدَّةُ مَرَاكبَ من مَرَاكبِ الإنجليز ، وَوَقَفَتْ عَلَى البُعْد بحَيْثُ يرَاهَا أَهْلُ الثَّغر ، وَبعْدَ قَلِيلٍ حَضَرَ خَمْسَةَ عشرَ مَرْكبًا أيضًا ، فَانتَظَرَ أَهْلُ الثَّغر مَا يُرِيدونَ ، وإذا بِقَابِق صغيرٍ واصل من عندهم وفيهِ عَشْرَةُ أَنفار فوصَلُوا البَرَّ واجتمعوا بكبار البلَد ، والرئيسُ إذْ ذَاكَ فِيها والمشارُ إليهِ بالإبْرَام والنَّقْض ، السيد محمد كريم الآتي ذِكْرُهُ ، فَكلَّمُوهُمْ واسْتَخبَرُوهُمْ عن غَرَضِهِمْ ، فأخبروا أنهم إنكليز ، حَضَرُوا للتفتيش عَلَى الفرَنْسِيس لأنهم خرجوا بعمارةٍ[1] عظيمة ، يُرِيدُون جِهَةً من الجِهَات ، ولا ندرى أيْنَ قَصْدُهُمْ ، فرُبَّمَا دَهَمُوكُمْ ، فلا تَقْدِرون على دَفْعِهِمْ ، وَلا تتمكنوا[2] من مَنْعِهم ، فلم يقْبَلِ السيدُ محمد كريم منهم هذا القول ؛ وَظنَّ أنها مَكيدَة ، وَجاوَبُوهُمْ بكلام خَشِنٍ ؛ فقالت رُسُلُ الإنكليز : نَحنُ نقفُ بمراكبنا فى البحر ، محافظِينَ عَلَى الثَّغْر ، لا نحْتَاجُ منكم إلا الإمْدَادَ بالماء وَالزَّاد بثمَنِه ، فلم يجيبوهم لذلكَ ، وقالوا : هذه بلادُ السُّلْطَان ، وليسَ للفرَنْسِيس وَلا غيْرِهِمْ عليها سبيل فاذهبُوا عنَّا ، فعندها عادت رُسُلُ الإنكليز ، وَأَقْلَعُوا فى البَحْر ، ليَمْتَارُوا[3] من غَيْرِ الإسكَنْدَرِيَّة ، وَلِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كانَ مَفْعُولًا ؛ ثم إنَّ

(١) يريد أسطولا .

(٢) هكذا فى الأصل ، والصواب : ولا تتمكنون .

(٣) ليجلبوا الميرة ؛ وهى الزاد .

أَهْلَ الثَّغْر أَرْسَلُوا إِلَى كاشِف البُحَيْرَة لِيَجْمَعَ العُرْبان ، وَيأْتى مَعَهُمْ للمحافَظَة بالثَّغْر ، فلمَّا قُرِئَتْ هذه المكاتَبَاتُ بِمِصْرَ حَصَلَ بِها اللَّغطُ الكثيرُ من النَّاس ، وتحدَّثوا بذلك فيما بَيْنَهُمْ ، وَكَثُرَتِ المَقالاتُ[1] والأراجيف[2].

٢ — من كتاب للشيخ حسن العطار[3]

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَحْسَنَ وَشْيٍ[4] رَقَمَتْهُ[5] الأَقْلام ، وَأَبْهَى زَهْرٍ تَفَتَّحَتْ عَنْهُ الأَكْمَام[6] عَاطِرُ سَلَامٍ يَفُوحُ بِعَبِيرِ[7] المَحَبَّة نَفْحُهُ[8] وَيُشْرِقُ فى سَمَاء الطُّرُوس[9] صبْحُه .

سَلامٌ كَزَهْرِ الرَوْض أَوْ نَفْحة الصَّبا
أَوِ الرَّاحِ تُجْلَى فى يَدِ الرَّشَإِ الأَلْمَى[10]

---

(١) المقالات : الأقوال .
(٢) الأراجيف : الأقوال تقال على جهة التخيل والظن أو الكذب والادعاء .
(٣) هو الشيخ الأكبر حسن بن محمد العطار . كان من علماء الأزهر ، وزار أهم الممالك الإسلامية ، وصار بعد محررا للوقائع المصرية أول ظهورها ، ثم صار شيخا للازهر الشريف وكان ، على علمه ؛ شاعرا كاتباً بليغا ؛ توفى سنة ١٢٥٠ هـ .
(٤) الوشى : المحسن بالألوان . يريد به هنا : زخرفة الكلام .
(٥) رقمته : خطته
(٦) الأكمام : جمع كم بكسر الكاف وتشديد الميم وهو غلاف الزهرة التى تنشق منه
(٧) العبير : أخلاط من الطيب .
(٨) نفحه : رائحته :
(٩) الطروس : الأوراق ، واحدها طرس بكسر الطاء .
(١٠) الراح : الخمر تجلى : بالبناء للمجهول تكشف وتدار مشرقة . الرشأ : ولد الظبية والألمى : المسود الشفة ؛ وهذه الصفة من مظاهر الحسن عند العرب .

سَلَامٌ عَاطِرُ الْأَرْدَانِ[١] ، تَحْمِلُهُ الصَّبَا سَارِيَةً عَلَى الرَّنْدِ[٢] وَالْبَانِ[٣] ، إِلَى مَقَامِ حَضْرَةِ الْمُخْلِصِ الْوِدَادِ ، الَّذِى هُوَ عِنْدِى بِمَنْزِلَةِ الْعَيْنِ وَالْفُؤَادِ ، صَاحِبِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ ، حِلْيَةِ الزَّمَانِ الَّذِى حَلَّى بِهَا مِعْصَمَهُ وَجِيدَهُ .

٣ — رفاعة بك رافع الطهطاوى[٤]

من كلام له فى حُبِّ الوطن :

إِنَّ حُبَّ الْوَطَنِ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَمِنْ طَبْعِ الْأَحْرَارِ إِحْرَازُ الْحَنِينِ إِلَى الْأَوْطَانِ . وَمَوْلِدُ الْإِنْسَانِ عَلَى الدَّوَامِ مَحْبُوبٌ ، وَمَنْشَؤُهُ مَأْلُوفٌ لَهُ وَمَرْغُوبٌ . وَلِأَرْضِكَ حُرْمَةُ وَطَنِهَا ، كَمَا لِوَالِدَتِكَ حَقُّ لَبَنِهَا . وَالْكَرِيمُ لَا يَجْفُو أَرْضًا بِهَا قَوَابِلُهُ[٥] ، وَلَا يَنْسَى دَارًا فِيهَا قَبَائِلُهُ . فَإِنِّى وَإِنْ أَلْبَسَتْنِى الْمَحْرُوسَةُ نِعَمًا ، وَرَفَعَتْ لِى بَيْنَ أَمْثَالِى عَلَمًا[٦] وَكَانَتْ أُمَّ الْوَطَنِ الْعَامِّ ؛ وَوَلِيَّةَ الْآلَاءِ وَالْإِنْعَامِ ، وَأُحِبُّهَا حُبًّا جَمًّا ، لِأَنَّهَا وَلِيَّةُ النُّعْمَى . وَقَضَيْتُ فِيهَا الْأَرْبَعِينَ مُجَاوِرًا « كِرَامَ السَّجَايَا وَالْبُحُوزَ الطَّوَامِيَا » . فَلَا زِلْتُ أَتَشَوَّقُ إِلَى وَطَنِى

---

(١) الأردان : جمع ردن بضم الراء ؛ وهو طرف الكم .

(٢) الرند : نبات طيب الرائحة .

(٣) البان : شجر معتدل القوام يستخرج من حبه دهن طيب .

(٤) ولد بطهطا ؛ مدينة بمديرية جرجا ؛ وربى بالأزهر وفرنسا ؛ وشغل مناصب تعليمية وسواها وألف عدة كتب . وهو على الجملة من بناة النهضة الحديثة فى العلم والأدب . وتوفى سنة ١٢٩٠ هـ .

(٥) القوابل : جمع قابلة . وهى التى تتلقى الولد عند ولادته .

(٦) العلم بفتحتين : الراية ؛ يريد أنها أعظمت شأنه وأكرمت محله .

الْخُصُوصِيِّ وَأَتَشَوَّفُ[1] ؛ وَأَتَطَلَّعُ إِلَى أَخْبَارِهِ السَّارَّة وَأَتَعَرَّف . وَلَا أُسَاوِى بِطَهْطَا الْخِصْبَة سِوَاهَا ، فِى الْقِيَامِ بِالْحُقُوقِ وَإِكْرَامِ مَثْوَاهَا .

مَنَازِلُ لَسْتُ أَهْوَى غيرها سُقِيَتْ حَيًا يَعُمُّ ، وَخُصَّتْ بِالتَّحِيَّاتِ[2]

وَأَمْنَحُهَا زَمَناً بَعْدَ زَمَنِ الزِّيَارَة ، وَأُجَدِّدُ فِيهَا مِنْ هِبَاتِ الْحُكُومَة الْعِمَارَة ، وَأَبْذُلُ فِى مَحَبَّتِهَا النَّفِيسَ لِتَحْصِيلِ الْأَرَاضِى لِلزَّرْعِ وَالْغَرْسِ ، وَأَفْتَخِرُ بِهَا كَمَا افْتَخَرَ عِصَامٌ بِالنَّفْس[3] ، وَأُنْشِدُ قَوْلَ الْحَافِظ كَمَالِ الدِّينِ الْأَدْفُوِىّ .

أَحِنُّ إِلَى أَرْضِ الصَّعِيدِ وَأَهْلِهِ وَيَزْدَادُ وَجْدِى حِينَ تَبْدُو قِبَابُهَا

وَتَذْكُرُهَا فِى ظُلْمَةِ اللَّيْلِ مُهْجَتِى فَتَجْرِى دُمُوعاً إِذْ يَزِيد الْتِهَابُهَا

٤ — لعبد الله باشا فكرى[4]

سَلَامٌ يُعَبِّرُ عَنِ الْوِدَاد طِيبُ عَبِيرِه[5] ، وَيُخْبِرُ عَنْ إِخْلَاصِ الْفُؤَاد لُطْفُ تَعْبِيرِه ، وَثَنَاءٌ عَلَى مَحَاسِنِ تلك الشَّمَائِل[6] ، أَرَقُّ مِنْ نَسَمَاتِ الشَّمَائِل[7] ، وَتَحِيَّةٌ

---

(١) تشوف إلى الشيء : تطلع إليه فى شغف .

(٢) الحيا : المطر . يدعو لها بالخصب والرخاء .

(٣) يشير إلى قول الشاعر :

نفس عصام سودت عصاما وعلمتــه الـكر والإقداما
وصيرته ملـكا هماما

(٤) انظر ترجمته فى الشعر .

(٥) عبيرالزهر : رائحته الطيبة .

(٦) الخلايا والسجايا .

(٧) جمع شمال : اسم ريح .

بهيّةٌ تُباهى الخمائلَ[1] ، بنفحات أَوْرَادِهَا[2] ، وأَدْعيةٌ مَرْضِيّةٌ جَعَلَتْهَا الألسِنةُ خَيْرَ أَوْرَادِهَا[3] ، وَسُؤَالٌ عَنِ المزاجِ الزّاهر ، وصحة الخاطِر الباهر ، لَا زِلْتُمْ مَحَلَّ نعمَةٍ يتَّصِلُ عَلَى مَدَى الْأَيّامِ بقاؤُهَا ، وَيَزِيدُ عَلَى مَرِّ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ بَهَاؤُهَا وَلَا بَرِحَتْ ثُغُورُ الإقبالِ إِلَيْكُمْ بَوَاسِم ، وَرِياحُ الآمالِ لَدَيْكُمْ نَوَاسِم[4] .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ بى مِنَ الْأَشْوَاقِ ، مَا تضعف عن حَمْلِهِ إِلَى جِمَا كُمُ الْأَوْرَاق ، وَمِنَ التَّأَسُّف عَلَى مَا حُرِمْتُهُ من لقْيا كُمْ ، وَالتَّلَهُّف إِلَى مطالَعَةِ أَنْوَار مُحَيا كُمْ مَا يَقْصُرُ عَنْ وَصْفه لِسَانُ الْيرَاعَة[5] ، وَيُقْتَصَرُ دُونَ وَصْفِهِ بَيَانُ الْبرَاعة ، وَيَضِيق عَنْهُ نِطَاقُ العِبَارَة ، وَلَا يَنْفَسِحُ لَهُ مَيْدَان الْإِشَارَة .

ومن كتاب له أيضاً إِلَى بَعْض أصحابه :

كتبْتُ وَالذهنُ فاتر[6] ، منْ وَهْن الدّفاتر ، وَالتّبْييض وَالتّسْويد وَالتّقييد وَالتّسْديد ، وَالتّرْجَمة وَكَثْرَتِهَا ؛ وَالهمّة وَفتْرَتِهَا ، وَالمَاهِيَّة[7] وَقِلّتِهَا ، وَالنّفْس وَذِلّتِهَا ، وَرَاتِبى لَا يكْفِى أُجْرَةَ الْبيْت ، وَلَا يَفِى ثَمَنَ الماءِ وَالزّيْت ، وَبالْأَمْس وَعَدَ الْوَكِيلُ بالزِّيَادَة وَاعْتَذَرَ اليومَ بالْأَصيل[8] عَلَى الْعَادَة ، عَلَى أَنه لو حَصَلَتْ

---

(١) الخمائل : جمع خميلة وهى الشجر الكثير الملتف .

(٢) الأوراد : الورود .

(٣) الأوراد : مايتلوه الناسك من الأذكار .

(٤) نسمت الريح : تحركت وهبت .

(٥) اليراعة : القلم ؛ وهى فى الأصل : القصبة .

(٦) الفترة : الضعف ؛ فالذهن الفاتر : المتعب المكدود .

(٧) الماهية فى اصطلاح المناطقة - حقيقة الشىء ؛ واستعملها العامة بمعنى المرتب .

(٨) الأصيل : يريد به الرئيس .

زِيادَةٌ فَلِزَيْدٍ وَعَمْرو ، إلى آخر الزَّمْر ، وَلِلّهِ الأَمْرُ . أَحْوالٌ مُتَبَدِّدَة ، وَنُفوسٌ متبلِّدَة ، وَأَشْغَالٌ مُتَعَدِّدَة ، وَإِخْوَانٌ خُوَّان(١) ، وَخِلاّنٌ غيلان ، وَرِفاق ، وَمَا أَجْمَلَ الفراق ! وقلت :

إلامَ أُعَانِي الصَّبْرَ والدهرُ غادرُ ... وحتَّى مَتَى أَشْكُو وَمَالِي عَاذرُ

ولو أنني أشكو عَظائِمَ شِدَّتى ... لمَيْت ، لرَقَّتْ لى الْعظامُ النَّوَاخِرُ

وسأَلتَ عن فلانٍ وفلان ، وَهَيَّان بنِ بَيَّان(٢) ، مِمَّنْ يَنْتَسِبُ للعلمِ وَأَهلِه ، وَيتَظاهَرُ بشِعارِ فَضْله ، ولو كان الْعِلْمُ بِلِحْيَةٍ تَعْظُمُ وَتُطَوَّلُ ، وَشَوَارِبَ تُحَفُّ وَتُسْتأْصَل ، وَعيُونٍ عَلَى مَا بِهَا من غَمَصٍ وَرَمَصٍ تُكَحَّل . . . فهُمْ أَعلمُ مَن أَقلَّتْهُ الْغَبْرَاء ، وَأَفْقهُ مَنْ أَظَلَّتْهُ الخضراء(٣) ، وإن كان للعلم غيرُ هذه الآلات فما لهم سوى هذه الحالات .. يا قوم : أهذا النحوُ وإعرابه ، والصرفُ وأبوابُه والعَرُوضُ وأوزانه وَأَبْحُرُه ، وَالْمَعَانى وَإِنْشَاؤُهُ وَخَبَرُه ، وَالبيانُ وَفَرَائدُه وَالبديعُ وَشواهدُه وَهذه العلومُ الموضوعةُ ، والأسفارُ المحمولةُ ، وَالدُّروسُ المأهولةُ(٤) ، وَالأَصواتُ الْمَهُولَةُ ، لمجرَّدِ مَعْرِفَةِ ضَرْبِ زيدٍ لعَمْرو ، وَقتالِ خالدٍ لبكْر . وَأَنّ قالَ أَصلُها قَوَل ، ثم لا يدرى ما حَصَل ، وَالطَّويلُ من فعولن مفاعيلن ، ثم لا يعْلَم ، كيف يُنْظَم ، والفصل والوصل ، وَلا أَصْلَ وَلا فَصْل ، والحقيقةُ والمجاز ، وليس لهما مَجاز ، وَالتوريةُ وَالْجِناس ، مما يُحْفَظ

(١) خوان : جمع خائن .

(٢) هيان بن بيان : اسم لمن لا يعرف ولا يعرف أبوه .

(٣) الخضراء : السماء .

(٤) الغاصة بالتلاميذ .

وَلا يُقاس إذاً والله تكون تلك الفُنون ، من أفانِين[١] الْجُنُون ، وَيكون الميلُ إلَيْهَا ، وَالإقبالُ عليها ، عَملا حابطاً[٢] ، وَشُغلا سَاقِطاً ، وَهَوَساً عاطِلا ، وَوَسْوَاساً باطلا ، ويكون واضِعُوها أَسَاءوا النَّاس ، وأخطأوا القياس ، وَبَنَوْا على غيرِ أساس ، كَلَّا إنما وَضَعُواهذه القواعد ، وَشَرَعُوا للنَّاسِ تلك الموارد[٣] ، لِيَتَكلَّموا بكلامِ العرب مثلَ ما تَكلَّمتْ وَيفْهموا من ألفاظها كالذى فَهِمَتْ وَيُتَرْجِمُوا عن سَرائرِ الضَّمائرِ كما تَرْجَمتْ ، وَيَنْثُرُوا وَيَنْظِموا كما نثرَتْ وَنَظَمَتْ . وقد كانت هذه العربُ التى أودع اللهُ الفصاحة لِسَانَها ، وَشَرَّف بسيدِنا النَّبيِّ والقرآن العربيِّ مَكانَهَا ، تتكلم بهذه اللغة العَلِيَّة ، على الفِطْرَةِ الأَصْلِيَّة ، والسَّجِيَّةِ الجِبِلِّيَّة ، من غير هذه القواعد والأُصول ، وتلك الأبواب ، والفصول ، وكانت تَعتَدُّ البلاغةَ مبلغَ عُلاهَا ، وَتعتَقِدُ الفصاحةَ من مَحاسِنِ حُلاهَا ؛ إلى أَنْ خَلَفَ هذا الخلَف ، فظنُّوا تلك الوسائلَ مقاصِد ، ليس بعدها غايةٌ لقاصِد ، وحَسِبُوا هذه الكُتُبَ تُقْصَد لذاتِها ، وَيُكْتَفَى بالتعبُّد بكلماتها ، فوقفوا عندَهَا ، ولم يَتجاوزوها ، لما بَعْدَها ، واتخذوا الأَدَبَ وَراءهم ظِهْرِيًّا[٤] ، وجعلوا النظم والنثر شيئاً فَرِيًّا[٥] .

---

(١) أفانين : أنواع .
(٢) حابطا : باطلا .
(٣) الموارد : مواضع الماء يستقى منها . شرعوها . فتحوها .
(٤) أى نبذوه .
(٥) أى إثما .

٥ — السيد عبد الله النديم[١]

من رسالة طويلة ، تعمَّد فيها أن يقتبس الفاصلة الثانية من آى الذكر الحكيم : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ، اشْتَبَه المُرَاقِبُ[٢] بِاللَّاه[٣] ، واستُبْدِلَ الحُلْوُ بالمُرِّ ، وقدِّم الرَّقِيقُ عَلَى الحُرِّ ، وبِيعَ الدُّرُّ بالخزف[٤] والخزُّ[٥] بالخَشَف[٦] ، وأظهرَ كلُّ لئيم كِبْرَه ، إن فى ذلك لعبْرَة : سَمْعاً سَمْعاً ، فالوشَاةُ إِنْ سَعَوْا لا يَعقِلُوا ، ويُحِبُّون أنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ، فكَيْف تَشْتَرُونَ مِنْهُم القَارَ[٧] فى صِفَةِ العَنْبَر ، وَقَدْ بَدَت الْبَغْضَاءِ مِنْ أفْوَاههم وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَر ، وَكَيْفَ تَسْمَعُ الْأَحْبَابُ لِمَنْ نَهَى مِنْهُمْ وَزَجَر ، وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْباءِ مَا فيه مُزْدَجَر[٨] عَجِبْتُ لَهُمْ وَقَدْ دَخَلُوا دَارَنَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ . فَلَمَّا أَحَسُّوا بأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضون[٩] . وَأَنْتَ يا عَزِيزَ الْعَلْيَا ، وَوَحِيدَ الدُّنْيا ، قَدْ بَيَّنْتُ لكَ فِعْلَهُمْ ،

---

(١) انظر ترجمته فى الشعر .

(٢) يريد بالمراقب : من يراقب الله تعالى ويخشى عذابه .

(٣) اللاه : اللاهي ؛ وهذا جناس .

(٤) الخزف : الفخار .

(٥) الخز بفتح الخاء : الحرير يخلط بالصوف .

(٦) الخشف : الردىء من الصوف .

(٧) القار : الزفت .

(٨) ازدجره كزجره : منعه ونهاه .

(٩) البأس . القوة . وركض : جرى وعدا .

فبما رحمة[١] من الله لِنْتَ لَهُمْ . ولكنهم صمعوا في عميم طولك[٢]، ولو كنت فظًّا[٣] غليظ القلب لانفضوا من حولك . أتراهم يعقلون كلامك أم يفهمون ؟ لعمرك[٤] إنهم لفي سكرتهم يعمهون[٥] . لهم قلوب لا يدرون بها للحسد قرارًا ، لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارًا . كيف يسعى العاذل بين النديم وإلفه ، وقد خلت النذر[٦] من بين يديه ومن خلفه . فيا سادتي : دعوني من المعجب والمطرب ، ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب . واجعلوا سيف ثباتكم للعذال مسلولا ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً .

٦ — السيد جمال الدين الأفغاني[٧]

كتب إلى عبد الله باشا فكري يعتب عليه وقد بلغه أن رجلاً ذمّه أمام الخديو على مسمع من فكري باشا فسكت ولم يدافع عنه[٨] :

مولاي ! إن نسبتُك إلى هوادة في الحق وأنت — تقدست جبلتك[٩] — فُطِرْتَ عليه وتخوض الغمرات إليه : فقد بعت يقيني بالشك ؛ وإن توهمت فيك

---

(١) فبما رحمة : فبرحمة ؛ وما للتوكيد .

(٢) طولك بفتح الطاء : إحسانك .

(٣) الفظ : الجافي النفس السيء الخلق .

(٤) لعمرك بفتح العين وسكون الميم وضم الراء : وحياتك .

(٥) يعمهون : يتحيرون .

(٦) النذر بضمتين : جمع نذير بمعنى الإنذار .

(٧) هو محمد بن صفتر ولد في أسعد أباد وتنقل في بلاد الهند وأفغانستان ، ثم رحل إلى الآستانة ؛ ثم نفي منها لجاء مصر ونفخ فيها من روحه ؛ وأسس نهضة إصلاحية في الدين والسياسة وتتلمذ له فيها الشيخ محمد عبده وغيره ، نفي من مصر ؛ ثم قصد باريس وأنشأ فيها مع الشيخ محمد عبده جريدة «العروة الوثقى» ثم دعي إلى الآستانة وبها مات سنة ١٣١٥ هـ .

(٨) قد تبين للسيد بعد ذلك أن فكري باشا دافع عنه في ذلك المقام أبلغ دفاع .

(٩) أي طهر أصلك وطبعك .

حَيَدَانًا[1] عَنِ الرُّشْد ، وَجَوْرًا عَنِ الْقَصْدِ ، وَأَنَا مُوقِنٌ أَنَّكَ لَا زِلْتَ عَلَى السَّدَاد غَيْرَ مُفْرِطٍ وَلَا مُفَرِّطٍ[2] فَقَدْ اسْتَبْدَلْتُ عِلْمِى بِالْجَهْل — وَلَوْ قُلْتُ : إِنَّكَ مِنَ الَّذِينَ تَأْخُذُهُمْ فِي الْحَق لَوْمَةُ لَائِم ، وَتَصُدُّهُمْ عَنِ الصِّدْق خَشْيَةُ ظَالِم ، وَأَنْتَ تَصْدَعُ بِهِ[3] غَيْرَ وَانٍ وَلَا ضَجِرٍ ، وَلَوْ أَلَّبَ[4] الْبَاطِلُ الْكَوَارِثَ الْمُرْدِيَةَ ، وَأَجْرَى عَلَيْكَ الْخُطُوبَ الْمُوبِقَة ، لَكَذَبْتُ نَفْسِى وَكَذَّبَنِى مَنْ يَسْمَعُ مَقَالَتِى لِأَنَّ الْعَالِمَ وَالْجَاهِلَ وَالْفَطِنَ وَالْغَبِيَّ كُلُّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى طَهَارَة سَجِيَّتِك . وَنَقَاوَة سَرِيرَتِكَ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْفَضَائِلَ حَيْثُ أَنْت ، وَالْحَقُّ مَعَكَ أَيْنَمَا كُنْت ، لَا تُفَارِقُ الْمَكَارِمَ وَلَوْ اضْطُرِرْت وَأَنْتَ مَجْبُولٌ عَلَى الْخَيْرِ لَا يَحُومُ حَوْلَكَ شَرٌّ أَبَدًا ، وَلَا تَصْدُرُ عَنْكَ نَقِيصَةٌ قَصْدًا ، وَلَا تَهِنُ[5] فِى قَضَاءِ حَقّ ، وَلَا تَنِي عَنْ شَهَادَة صِدْق — وَمَعَ هَذَا وَهَذَا وَذَاكَ إِنَّكَ مَعَ عِلْمِكَ بِوَاقِعِ أَمْرِى ، وَعِرْفَانِكَ بِسَرِيرَتِى وَسِرِّى ، أَرَاكَ مَا ذُدْتَ عَنْ حَقٍّ كَانَ وَاجِبًا عَلَيْكَ حِمَايَتُه ، وَلَا صُنْتَ عَهْدًا كَانَتْ عَلَيْكَ رِعَايَتُه ، وَكَتَمْتَ الشَّهَادَة وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّى مَا أَضْمَرْتُ لِلْخِدِيو وَلَا لِلْمِصْرِيِّينَ شَرًّا ، وَلَا أَسْرَرْتُ لِأَحَدٍ فِى خَفِيَّات ضَمِيرِى ضَرًّا ، وَتَرَكْتَنِى وَأَنْيَابَ النَّذْل اللَّئِيم (فُلَانٍ) حَتَّى نَهَشَنِى نَهْشَ السَّبُعِ الْهَرِم الْعِظَام ، ضَغِينَةً مِنْهُ عَلَى السَّيِّد إِبْرَاهِيمَ اللَّقَّانِىِّ وَإِغْرَاءً مِنْ أَعْدَائِى أَحْزَابِ (فُلَان) ، مَا هَكَذَا الظَّنُّ بِك ، وَلَا الْمَعْرُوفُ مِنْ رُشْدِكَ وَسَدَادِكَ

(١) الحيدان : الميل .

(٢) الإفراط فى الشيء : المغالاة فى الأخذ فيه . والتفريط : إهماله كل الإهمال .

(٣) تصدع به : تجهر به .

(٤) ألب : جمع .

(٥) تهن : تضعف .

وَلاَ يُطَاوِعُنِى لِسَانِى — وَإِنْ كانَ قَلْبِى مُذْعِنًا بِعُظْمِ مَنْزِلَتِكَ فِى الْفَضَائِلِ، مُقِرًّا بِشَرَفِ مَقَامِكَ فِى الْكَمَالاَتِ — أَنْ أَقُولَ : عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ إلاَّ أَنْ، تَصْدَعَ بِالْحَقِّ، وَتُقِيمَ الصِّدْقَ، وَتُظْهِرَ الشَّهَادَةَ إِزَاحَةً لِلشُّبْهَةِ، وَإِدْحَاضاً لِلْبَاطِلِ، وَإِخْزَاءً لِلشَّرِّ وَأَهْلِه، وَأَظُنُّكَ قَدْ فَعَلْتَ أَدَاءً لِفَرِيضَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، ثُمَّ إِنِّي يا مَوْلاَىَ أَذْهَبُ الآنَ إِلَى لَنْدَنَ وَمِنْهَا إِلَى بَارِيسَ مُسَلِّماً عَلَيْكُمْ، وَدَاعِياً لَكُمْ — وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَخِى الْفَاضِلِ الْبَارِّ أَمِينِ بك.

٨ صفر سنة ١٣٠٠ — جمال الدين الأفغانى

٧ — لأديب إسحاق(١)

أوروبا والشرق

كتب تحت هذا العنوان :

قضىَ عَلَى الشَّرْقِ أَنْ يَهْبِطَ بَعْدَ الارْتِفَاعِ، وَيَذِلَّ بَعْدَ الامْتِنَاعِ(٢) وَيَكُونَ هَدَفاً(٣) لِسِهَامِ الْمَطَامِعِ وَالْمَطَالِبِ، تَعْبَثُ بِهِ أَيْدِى الأَجَانِبِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. فَمِنْهُمْ مَنْ يُغِيرُ عَلَيْهِ بِحُجَّةِ الْغَيْرَةِ عَلَى الإِنْسَانِيَّةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَدَاخَلُ فِيهِ بِدَعْوَى إِقَامَةِ الْمَدَنِيَّةِ. وَلَمْ نَرَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَقَ فِى دَعْوَاهُ، بَلْ كُلُّهُمْ تَابِعٌ فِى ذَلِكَ قَصْدَهُ وَهَوَاهُ.

---

(١) ولد بدمشق وتعلم فى مدارس المرسلين العربية والفرنسية، وأجاد الأدب العربى واشتغل بالسياسة والصحافة وأنشأ جريدة مصر واتصل بجمال الدين الأفغانى. وتوفى سنة ١٨٨٥ م. ويمتاز أسلوبه بالإرسال الممزوج بالسجع مع السهولة.

(٢) الامتناع : الرفعة والتمنع على صروف الزمن أن تنال منه شيئاً.

(٣) الهدف : بفتحتين مرمى السهام.

٨ — نجيب الحدّاد(١)

كتب فى إرضاء الناس :

« عبارةٌ لوْ وُضِعَتْ فى كتُبِ اللُّغة لَكانَتْ أخْتَ المسْتَحيل فى المَعْنَى ، ومُرادفَ النَّجْم فى البُعْد ، وَشِبْهَ الْكِبْرِيت الأَحْمَر(٢) فى النُّدْرَة والْقِلَّة . وَإِن شِئْتَ فقُلْ : إرْضَاءُ النَّاس كَلِمَةٌ تقَالُ ، وَلا تُخَال ، حَتَّى يُصَاغ مِنَ الْخَاتَم خلْخَالٌ . وَمَنْ لا يَقْدرُ أَنْ يُرْضِىَ الْوَاحِدَ الْفرْدَ فى جَمِيع أَخْلَاقِهِ ، كَيْفَ يَقْدرُ عَلَى أَنْ يُرْضِىَ الْجَمِيع ؟ . . . » .

ومن كلامه الجارى مجرى الحكم :

مَنْ جارَ عَلَى صِبَاه ، جَارَتْ عَلَيْه شَيْخُوخَته .

مَهْمَا اجْتَهَدَت الْمَرْأَةُ فى أَنْ تُقَلِّدَ الرَّجُل ، فَجُلُّ مَا تَصِلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا لَا تَصِيرُ رَجُلًا ، وَلَا تَعُودُ امْرَأَة !

منْ غَرِيب طَبَائِع الإنْسَان أَنَّهُ يُحِبُّ الْعَدَالَةَ مَظْلوماً ، وَيَكْرَهُهَا ظَالِمًا ، وَيَطْلُبُ الْحُرِّيَّةَ مَرْءوساً ، وَيُنْكِرُهَا رَئِيساً !

(١) كاتب رقيق ، وشاعر مجيد ، اشتغل بالتحرير فى الصحف ، وترجمة الروايات ، وأسلوبه رصين ، وألفاظه مختارة .

(٢) الكبريت الأحمر : يضرب به المثل فى القلة والندرة .

٩ — مصطفى بك نجيب[1]

كتب يصف نَظارَةً ويشكر من أهداها :

وَرَدَ الكِتَابُ المُطَرَّزُ بحُلَى الكَرَم ، المُحَلَّى بجَميل النِّعَم ، واستَلمتُ[2] الهَدِيَّة ، فَسَلِمَتْ يدٌ أَهْدَتْها ، وحُفِظَت السَّجَايَا الَّتِى لمحَاسِنِ الأَعْمَالِ هَدَتْها ، وَدَامَتْ رِحَابٌ لمثْلِ هَذه الحَسنَات فِيها مَجَالٌ ، وللمُحْسِنَات بِهَاءٌ وَجَمَالٌ ، وللآمالِ مَحطٌّ رِحَال ؛ وللمقاصِد كَعْبَةُ إِقْبَال ، وَطَابَتْ نفسٌ تعالى الله أَنْ تُمَاثِلها نفسُ عِصَام[3] ، فَإِنَّهَا نَسَخَتْ آيةَ الكَرِّ والإِقْدَام ، بآيةِ الجُودِ والإِكْرَامِ ، وَفَعَلَتْ فى القُلوبِ بالعطَاءِ والنَّوال ، مَاقَصَّرَتْ عَنْهُ الرِّمَاحُ الطِّوَال ، وَتَأَمَّلْتُها فَأَرَتْنِى مَا لَا عينٌ رَأَتْ ، وأظهرَتْ من محاسِنِ المَنَاظِر ما أَضْمَرَتْ ، وَقرَّبَتْ كلَّ مَنْظُور بَعِيد ، وَتَلَتْ (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غطَاءَكَ فبصَرُكَ الْيَوْمَ حَديد)[4] ، وَصَفَا وَقْتِى بِصَفَائِها ، فَلَمْ أَشْتَه شَيْئًا إِلا جَمَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنِى ، وَصَحَّ عَلَيْنَا قولُ القَائِل : (رَأَيْتُ بِعَيْنِها وَرَأَتْ

---

(١) هو مصطفى بن محمد نجيب . شاعر كاتب ، يمتاز بسهولة الأسلوب ، ورشاقة العبارة ، وإيراد أبرع النكات فى شعره ونثره . وقد نشأ فى معية الخديوى ؛ ثم تحول إلى وزارة الداخلية فشغل فيها منصباً كبيراً حتى مات رحمه الله ، وهو صاحب رسائل « أحلام الأحلام » وكتاب « حماة الإسلام » الذى نشر منجما فى جريدة اللواء . وتوفى سنة ١٣٢٠ هـ .

(٢) لقد جارى الكاتب أهل العصر فى استعمال هذه الكلمة ؛ والاستلام لا يكون إلا للحجر الأسود .

(٣) اسم رجل أنشأ نفسه ويضرب به المثل ؛ قال النابغة الذبيانى يمدحه :

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والإقداما

* وصيرته ملكا هماما *

(٤) حديد : قوى نفاذ .

بِعَيْنِي) ، ثم سرَّحتُ نَظَرِي فِي الْأَطْلَالِ وَالرُّسُومِ[١] حتَّى نَظرْتُ نَظرَةً فِي النُّجُوم ، فلم تُخْفِ عَنِّي شَجَرًا وَلَا مَدرا[٢] ولا نجمًا ، وَلَا قمرا :

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظَرَا

بِبَهَاء ، يُخَيَّلُ لِي أَنَّها صيغَتْ مِنْ ضِيَاء ، فلو كانَتْ في يَدِ ذَلِكَ الظَّمْآن — أستغفرُ اللهَ — لما كانَ يَحْسب أَنَّ السَّرَابَ مَاء ، استغربَتْهَا العُقُول حتَّى صَارَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ فِيهَا نظَر ، واطَّلَعَتْ عَلَى تفاوُت النَّاس فجاءَتْ لِكل بَصَر بِقَدَر ، وَنَالَ بِهَا كلٌّ قَصْدَهُ وَمَرَامَهُ ، وَاسْتَوى عِنْدَهَا « أَعْمَى وَأَعْشَى ثُمَّ ذُو بَصَرٍ وَزَرْقَاء[٣] الْيَمَامَة » ، فَلَوْ كانَتْ عَيْنًا لَكَشَفَتْ حقَائِق الضَّمائِر ، ونُظر بها تقَلُّبُ القلوبِ وحَقِيقَةُ الْبَصائر . شَهِدَ لَهَا الْجَمْعُ بالْفَضْل لَمَّا ظَهَرَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ لَدَيْهَا حَالَةُ ضَعْفه ، وعَظَّمَ مقْدارَها كُلُّ فَرْدٍ وَرَفَعَها — رَغْبَةً مِنْهُ أَوْ رَغْمًا — عَلَى أَنْفه ، وَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ أَنِّي نَظرْتُ بِهَا فِي سَمَاءِ فَضْلِكَ الْباهر ، وَأُفُقِ شَرَفِكَ الطَّاهر ، فلم يَنْكَشِفْ لِي بِها الجُودُ لِآخر ، لَا زَالَ كَرَمُكَ بعيدًا حَدُّهُ عَلَى كُلِّ ناظِرٍ وَبَاصِر ، وَفَضْلُ مَنَاهِلِكَ غَايَةً تَقْصِدُها الأَوائلُ وَالأَوَاخِر .

(١) الأطلال والرسوم ما بقي من آثار الديار بعد أن تركها أهلها .

(٢) المدر : التراب المتلبد ؛ أو الطين .

(٣) امرأة يمانية يقال إنها كانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام .

١٠ — للشيخ محمد عبده[١] « من رسالة التوحيد »

القرآن

جاءنا الخبرُ المتواترُ الذى لا تتطرَّق إليـهِ الرِّيبَة أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كانَ فى نشأَتِهِ وأُمِّيَّتِهِ عَلَى الحال التى ذكرْنا ، وتواترتْ أخْبار الأمم كافَّةً عَلَى أنهُ جاءَ بكِتابٍ قالَ إنّه أُنْزِلَ عليْهِ ، وأَنَّ ذلكَ الكتابَ هُوَ القرآنُ المكتُوبُ فى المصاحف المحفوظ صُدُور فى مَنْ عنِيَ بحفْظه مِنَ الْمُسْلِمِينَ إلَى الْيَوْم

كتابٌ حوَى من أخبار الأُمم الماضية ما فيهِ مُعْتَبَرٌ[٢] للأجيال الحاضِرَة والْمُسْتَقْبَلة ؛ نقَّبَ عَلَى الصحيح مِنْهَا ، وغادرَ الأباطيلَ التى أَلْحَقتها الأوْهَامُ بِها ، وَنَبَّهَ عَلَى وُجُوه العبرة فيها . حَكَىٰ عن الأنبياء ما شاءَ اللهُ أن يَقُصَّ علَيْنا من سِيَرهم ، وما كان بَيْنَهُمْ وبينَ أُمَمِهم ، وبرّأهُمْ مِمَّا رَمَاهُمْ بِهِ أَهْلُ دِينهِمْ الْمُعْتَقِدُونَ برسالاتهم . آخَذَ[٣] العلماء مِنَ الْمِلَل المختلفة عَلَى ما أفْسَدوا من عقائدهم ، وما خلَطُوا فى أحْكامِهم ، وما حَرَّفُوا[٤] بالتأويل فى كُتُبِهم ، وشَرَعَ لِلنَّاس أحكاماً تَنْطَبِق عَلَى مَصَالحهم ، وظَهرَت الفائدَةُ فى العَمَل بِها والمحافظَةِ علَيْها ، وقامَ بِها العدْل ، وانتَظم بِها شَمْلُ الجماعة

---

(١) ولد الشيخ العالم الأديب محمد عبده فى محلة نصر إحدى قرى مديرية البحيرة ، ودرس بالأزهر العلوم العقلية والأدبية والدينية ، واتصل بجمال الدين الأفغانى ، وكان أكثر الناس انتفاعا به ، ثم نفى عقب الثورة العرابية ؛ ولكنه عاد إلى مصر وتولى التدريس والقضاء فى المحاكم الأهلية ثم الإفتاء مجتهداً محققاً وقد توفى سنة ١٣٢٣ هـ بعد أن ترك آثاراً ثمينة وطبقة من أنبه الطبقات المصرية .

(٢) معتبر : عبرة وموعظة . (٣) آخذ : حاسب .

(٤) التحريف : التغيير ؛ ووضع شىء مكان شىء .

ما كانت عِنْدَ حَدِّ ما قَرَّرَه[١] ، ثم عَظُمت المَضَرَّةُ فى إهمالها وَالانْحِرَاف عنها أو البُعْد بها عن الرُّوح الذى أودعَتْه[٢] ففاقَتْ بذلكَ جميعَ الشرائِعِ الوَضْعِيَّة[٣] كما يتبَيَّنُ لِلنَّاظر فى شرائِع الأُمَم . ثمَّ جاءَ بعد ذلك بِحِكَم ومواعظ وآداب تَخْشَعُ لها القلوب ، وَتَهَشُّ[٤] لاستقبالها العُقُول ، وَتنْصَرِفُ وَرَاءَهَا الْهِمَم ، انْصِرَافَهَا فى السَّبِيل الأَمَم[٥] .

نَزَلَ القرآن فى عَصْرٍ اتَّفَقَ الرُّوَاةُ وتواتَرَت الأخبارُ عَلَى أنه أَرْقَى الأَعْصَار عِنْدَ العرب وَأغْزَرُها مادَّةً فى الفَصَاحة ، وَأَنَّهُ المتازُ بينَ جميع ما تقدَّمَهُ بِوَفْرَةِ رجالِ البلاغة ، وَفُرْسان الْخَطابَة ، وَأَنْفَسُ ما كانَتْ العربُ تَتَنافَسُ فيهِ مِنْ ثمار العقْلِ ، وَنتائِج الفطن وَالذَّكاءِ هُوَ الْغَلَبُ[٦] فى القَول ، وَالسَّبْقُ إلى إصابة مكان الْوِجْدَان من القُلوب ، وَمَقَرِّ الإِذْعَان مِنَ العُقُول ، وَتفَانيهمْ فى الْمُفاخَرَةِ بذلك مِمَّا لا يُحْتَاجُ إلى الإطالةِ فى بيانه .

تَوَاتَرَ الْخَبَرُ كَذلك بما كان منهم من الحِرْص عَلَى مُعارضَة النَّبِيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم ، وَالْتماسِهِمُ الْوَسائلَ قَرِيبَها وبَعِيدَها ، لإِبْطَالِ دَعْواه ، وَتَكْذِيبِهِ فى الإِخْبَار عن الله ، وَإتيانِهِمْ فى ذلكَ عَلَى مبْلَغ اسْتِطَاعَتِهِمْ ، وكانَ فيهِمُ الملوكُ الَّذِين تحملهم عِزَّةُ الْمُلْك عَلَى مُعانَدتهِ ، وَالأُمَرَاءُ الَّذِينَ يَدْعُوهُمُ

---

(١) يريد مادامت قائمة على حدوده ، عاملة بأحكامه .
(٢) أودعته : حفظت فيه .
(٣) الشرائع الوضعية : القوانين التى تسنها الحكومات .
(٤) تهش : ترتاح وتسر .
(٥) الأمم بفتح الهمزة والميم : البين الواضح .
(٦) الغلب : التغلب .

السُّلطانُ إلى مناوَأَتهِ[١] وَالْخُطباءِ وَالشُّعَراءِ وَالْكُتَّابُ الّذِينَ يَشمَخُونَ بِأنُوفِهم عن مُتابعَتِه ، وقد اشْتَدَّ جميعُ أولئكَ فى مُقاوَمَته[٢] ، وانْهَالُوا بقُوَاهُمْ عَلَيْهِ اسْتِكْبَارًا عن الْخُضُوعِ ، وَتَمَسُّكاً بِما كانُوا عَلَيْهِ مِنْ أَدْيان آبائِهِمْ ، وَحَمِيَّةً[٣] لِعقائِدِهِمْ وَعَقائد أسْلافِهِمْ ، وهو مع ذلك يُخَطِّئ آرَاءَهُمْ ، وَيُسَفِّهُ أَحْلامَهُمْ[٤] ، وَيحتَقِرُ أَصْنامَهُمْ ، وَيدْعُوهم إلى ما لم تَعْهَدْهُ أَيَّامُهُمْ ، ولم تخفق لمثله أَعْلامُهُمْ ، وَلَا حُجَّةَ لَهُ بَيْنَ يدَىْ ذلكَ كلِّهِ إلَّا تحدِّيهِمْ[٥] بالإِتْيان بمثلِ أَقْصَرِ سورةٍ من ذلك الكتاب ، أَوْ بعَشْرِ سُوَرٍ مِنْ مِثْله ، وكانَ فى استِطاعَتِهِمْ أَنْ يجْمَعُوا إِلَيْهِ مِنَ الْعُلَماءِ وَالْفُصَحاءِ والبُلغاءِ مَا شاءوا لِيأْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ مِثْلِ مَا أَتَى بِهِ لِيُبْطِلُوا الْحُجَّة ، وَيُفحِمُوا[٦] صاحِبَ الدَّعْوَة .

جاءنا الخبرُ المتواترُ أن مع طُول زَمَن التَّحدِّى ، وَلَجاجِ[٧] الْقَوْمِ فى التَّعدِّى ، أُصِيبُوا بالْعجْز ، ورجعوا بالْخَيْبَة ، وَحقَّتْ لِلْكِتاب العَزيزِ الكلمةُ العُلْيا عَلَى كُلِّ كلام .

وله يصف نهج البلاغة :

أَوْفَى لى حُكْمُ الْقَدَرِ بالاطِّلاعِ عَلَى كتاب «نَهْج البَلاغَة» صُدْفَة بلا تَعمُّل أَصَبْتُهُ عَلَى تَغيُّرِ حَالٍ[٨] ، وَتبَلْبُل بالٍ ، وَتزاحُمِ أَشْغالٍ[٩] ، وَعُطْلَةٍ مِنْ أَعْمالٍ ،

---

(١) مناوأته : محاربته .
(٢) مقاومته : صده .
(٣) الحمية : الغيرة .
(٤) الأحلام : جمع حلم ؛ وهو العقل .
(٥) التحدى : طلب الإتيان بالشيء مع إظهار العجز عنه .
(٦) يفحمونه : يجعلونه يعيا عن النطق والمقاومة .
(٧) اللجاج : — هنا — المتابعة .
(٨) تبلبل البال . اضطرابه .
(٩) الأشغال : جمع شغل ؛ وهو ما يشغل النفس ؛ أى تزاحم الهموم وشواغل النفس .

فَحَسِبْتُهُ لِلتَّسْلِيَة ، وَجَعَلْتُهُ لِلتَّخْلِيَة . فَتَصَفَّحْتُ بَعْضَ صَفَحَاتِهِ ، وَتَأَمَّلْتُ جُمَلا مِنْ عِبَارَاته ، مِنْ مَوَاضِع مُخْتَلِفَات ، وَمَوَاضِيعَ مُتَفَرِّقَات . وَكَانَ يُخَيَّلُ لِي فِي كلِّ مَقَامٍ أَن حُرُوباً شَبَّتْ وَغَارَات شُنَّتْ ، وَأَنَّ لِلْبَلَاغة دَوْلَةً وَلِلْفَصَاحَة صَوْلَةً ، وَأَنَّ لِلْأَوْهَامِ عَرَامَة[١] ، وَلِلرِّيَب دَعَارَة[٢] . وَأَنَّ جحَافِلَ الْخَطَابَة[٣] ، وَكَتَائِبَ[٤] الذرَابَة[٥] ، فِي عُقُود النِّظَام ، وَصُفُوف الانْتِظَام ، تُنَافِحُ[٦] بِالصَّفِيحِ[٧] الْأَبْلَج[٨] ، وَالْقَوِيم الْأَمْلَج[٩] وَتَمْتَلِجُ[١٠] الْمُهَجَ[١١] ، بِرَوَائِع الْحُجَج . وَتفلُّ دَعَارَةَ الْوَسَاوِس ، وَتُصِيبُ مَقَاتِلَ الْخَوَانِس[١٢] فَمَا أَنَا إِلَّا وَالْحَقُّ مُنْتَصِر ، وَالْبَاطِلُ مُنْكَسِر ، وَمَرَجُ الشَّكِّ فِي خُمُود ، وَهَرْجُ[١٣] الرَّيْبِ فِي رُكُود ، وَأَنَّ مُدَبِّرَ تِلْكَ الدَّوْلَة ، وَبَاسِلَ تِلْكَ الصَّوْلَة هُوَ حَامِلُ لِوَائِهَا الْغَالِب أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب ، بَلْ كُنْتُ كُلَّمَا انْتَقَلْتُ مِنْ مَوْضِع إِلَى مَوْضِع أُحِسُّ بِتَغَيُّرِ الْمَشَاهِد ، وَتَحَوُّلِ الْمَعَاهِد :

---

(١) عرامة — بفتح العين — : شدة وشراسة .
(٢) الدعارة — بفتح الدال وكسرها — الفجور وسوء الخلق .
(٣) الجحافل : جمع جحفل — بفتح الجيم — وهو الجيش الكثير .
(٤) الكتائب : جمع كتيبة — بفتح الكاف — وهي القطعة من الجيش .
(٥) الذرابة — بفتح الذال — : الفصاحة .
(٦) تنافح : تدافع .
(٧) الصفيح : السيوف ؛ وأراد بها هنا : المفرد .
(٨) الأبلج : الأبيض اللامع .
(٩) يريد بالقويم الأملج : الرمح المعتدل الأسمر .
(١٠) تمتلج : تمتص .
(١١) المهج : جمع مهجة — بضم الميم — وهي دم القلب .
(١٢) لعله يريد بالخوانس ما يجول في النفس من خواطر السوء .
(١٣) المرج — بفتح الراء — القلق والاضطراب ؛ وإنما تسكن الراء إذا قرنت بالهرج . والهرج — بسكون الراء — الفتنة .

فَتَارَةً كُنْتُ أَجِدُنِي فِي عَالَمٍ يَعْمُرُهُ مِنَ الْمَعَانِي أَرْوَاحٌ عَالِيَةٌ فِي حُلَلٍ مِنَ الْعِبَارَاتِ الزَّاهِيَةِ ، تَطُوفُ عَلَى النُّفُوسِ الزَّاكِيَةِ[1] ، وَتَدْنُو مِنَ الْقُلُوبِ الصَّافِيَةِ ، تُوحِي إِلَيْهَا رَشَادَهَا وَتُقَوِّمُ مِنْهَا مُنْآدَهَا[2] ، وَتَنْفِرُ بِهَا عَنْ مَدَاحِضِ الْمَزَالِّ[3] ، إِلَى جَوَادِّ[4] الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ ، وَطَوْرًا كَانَتْ تَنْكَشِفُ لِي الْجُمَلُ عَنْ وُجُوهٍ بَاسِرَةٍ[5] ، وَأَنْيَابٍ كَاشِرَةٍ وَأَرْوَاحٍ فِي أَشْبَاحِ النُّمُورِ ، وَمَخَالِبِ النُّسُورِ ، وَقَدْ تَحَفَّزَتْ لِلْوِثَابِ ، ثُمَّ انْقَضَّتْ لِلاخْتِلَابِ ، فَخَلَبَتِ الْقُلُوبَ عَنْ هَوَاهَا ، وَأَخَذَتِ الْخَوَاطِرَ دُونَ مَرْمَاهَا ، وَاغْتَالَتْ فَاسِدَ الْأَهْوَاءِ ، وَبَاطِلَ الْآرَاءِ . وَأَحْيَانًا كُنْتُ أَشْهَدُ أَنَّ عَقْلًا نُورَانِيًّا ، لَا يُشْبِهُ خَلْقًا جُسْدَانِيًّا ، فَصَلَ عَنِ الْمَوْكِبِ الْإِلَهِيِّ[6] ، وَاتَّصَلَ بِالرُّوحِ الْإِنْسَانِيِّ ، فَخَلَعَهُ عَنْ غَاشِيَاتِ الطَّبِيعَةِ وَسَمَا بِهِ إِلَى الْمَلَكُوتِ الْأَعْلَى ، وَنَمَا[7] بِهِ إِلَى مَشْهَدِ النُّورِ الْأَجْلَى ، وَسَكَنَ بِهِ إِلَى عُمَّارِ جَانِبِ التَّقْدِيسِ ، بَعْدَ اسْتِخْلَاصِهِ مِنْ شَوَائِبِ التَّلْبِيسِ وَآنَاتٍ[8] كَأَنِّي أَسْمَعُ خَطِيبَ الْحِكْمَةِ ، يُنَادِي بِأَعْلِيَاءِ الْكَلِمَةِ ، وَأَوْلِيَاءِ أَمْرِ الْأُمَّةِ ، يُعَرِّفُهُمْ مَوَاقِعَ الصَّوَابِ وَيُبَصِّرُهُمْ مَوَاضِعَ الِارْتِيَابِ وَيُحَذِّرُهُمْ مَزَالِقَ الِاضْطِرَابِ ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى دَقَائِقِ السِّيَاسَةِ ، وَيَهْدِيهِمْ طَرِيقَ الْكِيَاسَةِ ، وَيَرْتَفِعُ بِهِمْ إِلَى مِنَصَّاتِ[9] الرِّيَاسَةِ ، وَيُصْعِدُهُمْ شَرَفَ التَّدْبِيرِ ، وَيُشْرِفُ بِهِمْ عَلَى حُسْنِ الْمَصِيرِ .

---

(١) الزاكية : المطهرة .　　(٢) المنآد : المعوج .

(٣) المداحض : جمع مدحضة — بفتح الميم — وهى المزلقة والمزلة .

(٤) الجواد — بتشديد الدال — جمع جادة ؛ وهى معظم الطريق أو وسطه .

(٥) باسرة : متقطبة . (٦) فصل عنه — بصيغة البناء للفاعل — خرج عنه . (٧) نما به : ارتفع .

(٨) آنات : أوقات .　　(٩) المنصات : جمع منصة — بكسر الميم — وهى الكرسى .

١١ – إبراهيم بك المويلحى[١]

يَشْكُو بلسان حاجٍّ ما رأى إحْدَى السِّنِينَ فى الحج من فَتْك الْوَباء[٢] بالْحُجّاجِ وَإهْمالِ السُّلْطات شأنَهُ وَشأنَهُمْ

ترجمت إلى التركية وعرضت على السلطان عبد الحميد :

كذا فَلْيجلّ[٣] الخطبُ وليَفْدح[٤] الأَمْرُ   وَلَيْسَ لعَيْنٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُذرُ

يقول الشاعرُ البيتَ الجَزْلَ من الشِّعْر لغرضٍ له حَقير ، ثم يتركه ويأتى من بَعده مَنْ يَضَعُه مَوْضِعَه اللائقَ به من حوادث الزَّمان . وإنَّ هذا البَيْتَ لا يَحل مَحلَهُ فى رثاءِ واحدٍ من الناس، وإنما يقال لِيُبكَى به ما أصاب الْمُسْلِمِين فى مكّة هذا العام ، وَلا غَرْوَ[٥] أن ترتَعِدَ اليدُ وَيقِفَ الْقَلَم ، وَيَتلعثم اللِّسان عند وصْف ما فعلَته الْمَنِيَّة حين قامت تَفْتِكُ فى الأَرْواح ، وَتهتك فى الأشباح[٦] ، حتى فُرشت الأزِقَّةُ بالموتَى ، وَأقامت منهم كُثْبانًا[٧] تشهد عَلَى عَجْز الْقَوْمِ عَنْ تَدارُكِ الأُمُور .

---

(١) أصل أجداده من مرفأ المويلح ببلاد العرب ؛ وقد انحدروا إلى مصر من زمان بعيد . وقد نشأ إبراهيم فى بيت حسب وغنى ، وكان أبوه من كبار التجار يتجر فى الحرير ؛ فنزع إبراهيم ، مع معالجته التجارة ، إلى الأدب فقرأ كثيراً من كتب المتقدمين ، وكان من أوائل من استظهروها ؛ حتى برع فى الأدب ؛ وحذق الفرنسية والتركية ، وجود التاريخ القديم والحديث ، واتصل بالأفاضل المبرزين فى عصره وشرع لوناً من البيان يجمع بين جزالة الأسلوب وفحولة اللفظ ، وبين الوقوع على المعانى الغريبة ؛ والاستشهاد بالأمثلة الدقيقة ، فكان فى بيانه نسيج وحده ، وهو يعد بحق من أوائل من بعثوا النهضة الأدبية فى العصر الحديث . وقد أصدر جريدة نزهة الأفكار ، ثم جريدة مفتاح الشرق وحرر فيها وفى كثير من الصحف التى كانت قائمة فى عهده . وتوفى سنة ١٩٠٦ م (١٣٢٣ هـ) .

(٢) الوباء : المرض العام ينزل بالبلد فيصيب أهلها ويتفشاهم .

(٣) فليجل : فليعظم .   (٤) فدح الأمر : ثقل وصعب احتماله .   (٥) لا غرو : لاعجب .

(٦) المراد من الأشباح هنا : الأجسام   (٧) الكثبان : جمع كثيب . وهو التل من الرمال .

ولقد رأيتُ من المناظر المُدهشة ما تتصاغر عنده عَظيماتُ النَّوائب ، وَتتضاءل لديه جَسيماتُ المَصائِب ، فمن ذلك أنِّى رأيتُ شابًّا عليه شَارَةُ[1] الحِشْمَة وَالنَّجَابة ، يَتخبَّط فى التُّراب ولا يستطيعُ إشارةً ولا كلامًا ، وإنما كان يَطْلُبُ بعَينَيْهِ المَمْلوءتيْنِ بالدَّمْعِ أَنْ يَدْنُوَ منْهُ أَحَدُ المارَّة فَدَنَوْتُ منْهُ فوجَدْتُهُ قَدْ مَات . فأبكانى موتهُ غريباً عَنْ أَهْلِهِ وَقَومِه عَلَى تلك الحالة المؤلمة ، فطلبْتُ بالأجرة مَنْ يَدْفِنُه فلم أَجِدْ أَحَدا ، عَلَى إفراط حُبِّ المال فى هذَ البَلَد . فكتبتُ وَرَقةً وَأَرسلْتُها إلى قاضِى مكَّةَ أَسْأَلهُ المَعُونَةَ عَلَى دَفن هؤلاء الغُرباء المطروحِينَ تَحتَ أَقْدَام النَّاسِ فى الطَّريق ، فأجابنى بأن هذا لا يَعْلَق[2] بشيءٍ مِن وَظيفَتِه ، وَلا يَخُصُّهُ الاشتغالُ بهِ ! فسألتُ عن غيره مِنْ أَصحاب الحَلِّ وَالعَقْد[3] ، فوجدتُهُمْ قد طَارُوا إلى الطَّائف وتركوا مَكَّةَ لِلْقَتْلِ العَامّ .

وَبينا أَنا حَيْرَان فى وَسَطِ هذه المقبرة المكْشُوفة ، إذ لاحتْ مِنِّى الْتفاتَةٌ إلى المَوْتَى فرأَيْتُ وَليْتنى لم أَرَ ، امْرَأَةً اختطَفَتْهَا المنيَّة مِنْ بنْتٍ لها صغيرةٍ لم تبلغْ سِنَّ التَّمْييز بيْنَ النَّوْمِ وَالْمَوْت ، وَقد شَرَعَتْ تلك الصغيرةُ تُحرِّكُ أُمَّهَا بِيدَيْهَا لإيقاظِها ، وَتبكى لِعَدَمِ إجابتها ، بعيونٍ تقَسَّمَتْ نظرَاتُها بين السَّماء وَالْأَرْض ، وَتَعدُهَا فى خِلَالِ تِلْكَ النَّظَرَاتِ الْمُبْهَمة أَنَّها لَا تَعُودُ لشيءٍ كانَتْ نَهَتْهَا عَنْهُ ، بعباراتٍ تَسْتَخْرِجُ الْحُنُوَّ[4] وَالشَّفَقَةَ مِنَ القلوبِ الصَّخْرِيَّة .

---

(١) الشارة : العلامة والدلالة . (٢) يعلق : يتصل . أى ليس من شأنه .
(٣) المراد أهل التصرف فى الأمور ، وهم رجال الحكومة . (٤) الحنو : الحنان .

فأمسكتُ بالبنْت ولا أقدرُ أنْ أَصِفَ لكَ كيْفَ فَصلْتها عن رمَّة[1] أُمِّها ، وكيف كان حالُها وحالُ مَنْ يَراهَا عند آخر نظرةٍ نظرتْها إلى والدتِها وكافلتِها[2]

ثم قفلْنا إلى جُدَّةَ مُشتَّتِين ، فعلِمْنا أنَّ الدَّوْلة قد أرسلتْ وابُورًا لِنقْلِ الحُجَّاج ، وليتها لم ترْسلْ فإنّ قبطانَ الوابُور كانَ أشَدَّ قَسْوَةً عَلَى الحُجَّاج من المَوْت : أمرَ أَوَّلًا بإلْقاء قسْم مِمَّا كانَ مَعهُمْ مِنَ الأَزْوَاد[3] . فى البحر بدعوى المحافظة عَلَى الصِّحَّة . ثُمَّ أخذَ يَبيعُ لَهُمْ ثانيًا ، وَهم فى اللُّجَّة[4] مما احْتَكَرَهُ مِنَ القُوتِ ، بَيْعَ القَحْط اليُوسُفِى[5] . ولما لم يَبْقَ معهم من النَّقْد شىء ، شرع يَبيعُ لهم بِما مَعهُم من الهَدَايا والسُّبَح ، وكان الجَبَّارُ لا يُحبُّ أَنْ يَسْمَعَ بمريض فى السفينة ، ولهذا اضْطرَّ كثير أَنْ يَكْتُمُوا أمراضهم . وما زلنا معه عَلَى شفَا[6] الخَطَر إلى أَنْ وَصلْنا إلى الطُّور ، فلقينا هُنَاكَ منْ كِبْرِياءِ الأَطِبَّاء وعَظَمَتِهِمْ ما تمنَّيْنا له أن نكونَ طُعْمًا[7] للحيتان ، فإنَّهُمْ كانوا يأنفُون أَنْ يَمَسُّوا أَيْدِيَ الحُجاج بأيديهم ؛ وَكانوا يكْتَفُونَ بالنَّظَر الشَّزْر[8] إليْهمْ . وكثيراً ما كانوا يَعترِضُونَ عَلَى الحُجَّاج . فاعتقدت أَنَّ الخيرَ ارْتفعَ إلى السَّماء ، وَأنَّ الأرضَ أصْبحَتْ قاعًا صَفْصفًا[9] من نَوْعِ الإنْسان ، وَأَنَّ الذين نَرَاهُم هم شَيَاطِينُ عَلَى صُورَةَ البَشَر ؟

---

(١) الرمة : الجثة . (٢) الكافلة : التى تكفله وتقوم على أمره .

(٣) الأزواد : جمع زاد . وهو مايتخذ من الطعام للسفر .

(٤) أى فى عرض البحر . (٥) القحط الذى أصاب مصر ، وذكر فى القرآن فى سورة يوسف .

(٦) الشفا : حرف كل شىء . (٧) الطعم : الطعام .

(٨) النظر الشزر : هو النظر بجانب العين دليلا على الإعراض أو الغضب .

(٩) الصفصف : المستوى المطمئن . والمراد : أنها خالية لا أحد بها .

وَقُصَارَى القول إننا فى زمن أصبحَ القابضُ عَلَى دينه فيه كالقابِض عَلَى الجمر فلا حولَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بالله .

ومن كتاب له :

« أَكتُبُ كِتابِى هَذَا إِلَيْك ، وَنفسى تَنْظُرُ إِلَى نَفْسِكَ فى عُلُوِّهَا وَارْتِفاعِها نَظَرَ السُّلَحفَاةِ إِلَى الْأَجْدَل[١] فوْقَ شُرُفَاتِ الْمِجْدَل[٢] ، وَتُحَدِّثنى : لَوْ مُدَّ لِى طَرِيقٌ قضْبَانُه مِنَ الذَّهَب لَا الْحَدِيد وَمَرْكبَاتُهُ مِنَ الْيَوَاقِيت ، وَسَائِقُ آلَتِه جِبْرَائِيلُ ، لِيُبْلغَنى بَلَدًا أُسَاكِنُ فيه هَؤُلاءِ الْقَوْمَ ، لَفَضَّلْتُ الْجُلُوس حَيْثُ أَنَا الآن ، أَكْتُبُ لكَ هَذَا الْكِتَاب تَحْتَ ظِلِّ هٰذِه الشَّجَرَةِ لَا أَظْلِمُ وَلَا أُظْلَم ! »

١٢ — الشيخ إبراهيم اليازجى[٣]

كتب يعزِّى بعض أصدقائه :

مَنْ علِمَ أَنَّ الْقَضَاءَ وَاقِع ، وَأَن الْأَعْمارَ رَهَائِنُ الْمَصَارِع[٤] ، فَلَمْ يَصْحَبْ دَهْرَهُ عَلَى غِرَّة[٥] ، وَلَمْ يَفْتُرْ[٦] مِنَ الأَقْدَارِ بِفَتْرَة[٧] ، لَمْ تَكْبُرْ عَلَيْه الرَّزِيئة[٨]

---

(١) الأجدل : الصقر . (٢) المجدل : بكسر الميم وفتح الدال : القصر .

(٣) يعد إبراهيم اليازجى من خير علماء اللغة والنحو والأدب فى هذا العصر . أصدر باسمه مجلتى البيان والضياء . وله مؤلفات محكمة فى علوم اللغة والنقد اللغوى . توفى سنة ١٣٢٤ هـ .

(٤) المصارع : المهالك . (٥) الغرة بكسر الغين : الغفلة .

(٦) يفتر : يسكن .

(٧) الفترة بفتح الفاء : الهدنة وما بين النوبتين من الحمى .

(٨) الرزيئة : المصيبة .

إِذَا اغتَالَتْ ، وَلَمْ يَطمَئِنَّ إِلَى السَّلَامَةِ وَإِن طَالَتْ[١] ؛ فَإِنَّ لِلدَّهْرِ رَقْدَةً وَهَبَّةً[٢] ، وَإِنَّ لِلَّيَالِي كَمْنَةً[٣] وَوَثْبَة . وَمِثْلُكَ مَنْ أَدْرَكَ مَبَادِئَ الْأُمُورِ وَمَصَايِرَهَا[٤] ، وَعَرَفَ مَوَارِدَ الْحَيَاةِ وَمَصَادِرَهَا . وَإِنَّمَا الْمَوْتُ طَوْرٌ مِنْ أَطْوَارِ الْوُجُود ، وَآخِرُ أَعْمَالِ الْحَيَاةِ فِي الْمَوْجُود . وَلَا أَزِيدُكَ عِلْمًا بِالْكَوْنِ وَشَرَائِعِهِ ، وَالْكَائِنِ وَطَبَائِعِهِ . إِنَّمَا هِيَ ذِكْرَى لِمَنْ فَجَأَهُ الرُّزْءُ فَشَغَلَه ، وَحَلَّ بِسَاحَتِهِ الْقَضَاءُ فَأَذْهَلَه . وَحَسْبِي مِنَ التَّعْزِيَةِ عِلْمِي بِمَا عِنْدَكَ مِنْ مَوَارِدِ الْعِلْمِ الْمُبَاحِ ، وَمِنَ التَّأْسِيَةِ[٥] مَا تَعلَمُهُ مِنْ حَالِ مُخَاطِبِكَ وَهُوَ سَائِلُ الْجِرَاحِ . وَمَا أَخْلَقَنِي[٦] بِأَنْ أَقُولَ : إِنَّ رُزْءَكَ هَذَا قَدْ زَادَنِي شَجَنًا عَلَى أَشْجَانِي[٧] ، وَنَكَأَ[٨] مَا تَمَاثَلَ[٩] مِنْ قَرْحَةِ أَحْزَانِي . وَلَكِنِّي قَدْ صَيَّرَنِي الدَّهْرُ إِلَى حَالٍ لَا تَعْمَلُ فِيهَا حَال ، وَلَا أُبَالِي مَعَهَا بِسَلْمٍ وَلَا قِتَال ، فَكَأَنَّمَا إِيَّايَ عَنَى أَبُو الطَّيِّبِ حَيْثُ قَالَ :

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ[١٠] حَتَّى ... فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ[١١] مِنْ نِبَالِ[١٢]

فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ ... تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ[١٣]

---

(١) يريد أن من صاحب الزمان على حذر ولم يأمن له ، وإن طال أمد السلامة ، لم تعظم عليه المصيبة إذا حلت لأنها دائماً داخلة فى حسابه .

(٢) الهبة بتشديد الباء المفتوحة : النهوض من النوم .

(٣) يريد بالكمنة السكون .

(٤) مصاير الأمور : غاياتها .

(٥) التأسية : التصبير والتعزية .

(٦) ما أخلقنى : ما أحقنى وأولانى .

(٧) الشجن بفتح الشين والجيم : الهم والحزن ، وجمعه أشجان .

(٨) نكأ القرحة : قشرها قبل أن تبرأ .

(٩) تماثل : قارب البرء .

(١٠) الأرزاء : جمع رزء ، وهو المصيبة .

(١١) الغشاء : الغطاء .

(١٢) النبال : جمع نبلة ، وهى السهم .

(١٣) النصال : جمع نصل بفتح النون وسكون الصاد ، وهو حديدة السهم وطرفه .

وكتب إلى صديق له :

مَهْمَا زِدْتَنِي مِنْ جَمِيلِكَ الْمَأْلُوف ، وَصَنِيعِكَ[١] الْمَعْرُوف . فَمَا أَزِيدُكَ عَلَى مَا يَنْطِقُ بِهِ لِسَانُ حَالِي مِنَ الاعْتِرَاف بِتَطَوُّلِكَ[٢] ، وَالثَّنَاءِ عَلَى تَفَضُّلِكَ ، لَا سِيَّمَا فِيمَا أَبْدَيْتَ مِنَ الْحَفَاوَةِ[٣] وَاللُّطْفِ فِي جَانِبِ أَخِي وَأَخِيكَ النَّازِلِ فِي كَنَفِ[٤] تَدْبِيرِكَ ، الْمَوْكُولِ إِلَى حُسْنِ رَأْيِكَ ، وَهِيَ يَدٌ[٥] لَكَ حَمَلْتُ جَمِيلَهَا عَلَى عَاتِقِي[٦] فَوْقَ مَا أَثْقَلَتْهُ أَيَادِيكَ السَّابِقَةُ ، وَأَلْطَافُكَ[٧] السَّالِفَة . وَإِنِّي لَآمُلُ لَهُ بِمُؤَازَرَتِكَ[٨] نُجْحاً لَا يَعْتَرِضُهُ إِخْفَاقُ مَسْعًى ، وَفَوْزاً لَا يَصْدُرُ[٩] عَنْهُ طَيْشُ رَأْي . وَأَسْأَلُ اللهَ لَكَ وَلَهُ السلامةَ وَالتَّوْفِيقَ بِمَنِّهِ[١٠] وَطَوْلِهِ[١١] .

١٣ — مصطفى باشا كامل[١٢]

من خطبة له :

أَيُّهَا السادة : إِنَّكُمْ بِاجْتِمَاعِكُمُ اليومَ هذا الاجتماعَ الوطنيَّ تَرْفَعُونَ كَثِيراً من مَقَامِ الوطنيةِ المصريَّةِ وَتُخَفِّفُونَ من آلامِ مصرَ العزيزةِ التي قاسَتْ

---

(١) الصنيع المكرمة .
(٢) التطول : التفضل .
(٣) الحفاوة بالرجل : إكرامه وإظهار السرور به
(٤) الكنف بفتح الكاف والنون : الظل والجانب . والمراد هنا : الرعاية .
(٥) اليد : النعمة .
(٦) العاتق : مابين المنكب والعنق .
(٧) الألطاف ، جمع لطف ، بفتح اللام والطاء ، وهو الإحسان والإتحاف .
(٨) المؤازرة : المعاونة .
(٩) يصدر عنه : أي لايكون منه .
(١٠) المن : المنة .
(١١) الطول : الفضل .
(١٢) خطيب وسياسي وزعيم مصري ، تعلم الحقوق واشتغل بالسياسة ، وانصرف إلى مقاومة الاحتلال الانجليزي بخطبه ومقالاته وكتبه . أنشأ جريدة اللواء وجريدتين أخريين : إحداهما بالفرنسية ، والأخرى بالانجليزية . وتنقل في بلدان أوربا داعياً للوطن وكان فصيحاً مؤثراً في كتابته وخطابته ، مات شابا سنة ١٣٢٦ هـ (سنة ١٩٠٨ م) .

وَتقاسى أَشدَّ العَذاب عَلَى مَشْهَدٍ منكُمْ يا أَعزَّ بَنيها وَيا نُخبَةَ أَنجا بِها . فَكل اجتماعٍ وَطنيٍّ تُذْكَرُ فيهِ مصْرُ ويطالَبُ بحقوقها ، وَيُعلِنُ أبناؤُها إِخْلاصَهُمْ لها ، هو فى الحقيقة مرهَمٌ لجراحها وَدَواءٌ لدائها فاذكروها ما استطعتم ، فَإنَّ فى ذكراها ذكرى آلامها ، وَذِكرى الآلامِ تجُرُّ حتما إلى ذِكْرِ عَوامِلِ الشِّفاء . اذْكرُوهَا كما يذْكر الولَدُ الحنُونُ أُمَّهُ الشَّفيقَةَ ، وَهِيَ عَلَى سَريرِ المَرَضِ وَالْعَناء . اذكروهَا بآلامِهَا وَإنْ كانَ غيْرُكم يَذْكُرُ بلادَهُ بِمَجْدِهَا وَرِفْعَةِ شأنِها . اذكرُوهَا فإنَّكُمْ ما دُمْتم مُقَدِّرين لمَصائبِها عارفينَ بحَقيقَةِ آلامِهَا ، دَامَ الأمَلُ وَطيدًا(١) فى سَلامتها وَدام الرَّجاء . اذْكرُوها ، فَمِنَ المستحيل أن يَرَى العاقلُ النارَ فى داره ، والداءَ فِى شَخْصِ أُمِّه ، وَيُهمِلُ النَّار وَيُهْمِلُ الدَّاء . . !

ثم قال وهُناكَ فئةٌ من المصريينَ لا أُنكرُ إخْلاصَ رجالها للوطن العزيز ، وَلكِنْ أنكرُ عليهم اليأسَ الذى يتظاهرُون به فى كلِّ وَقتٍ وَفى كلِّ مكان . فهم ما عملوا وَلا يعْملون للبِلاد عمَلا نافعاً ، وَلكنَّهُمْ جعلوا اليأسَ علَّةَ عَدمِ العمل وَعلَّةَ الكسل ! فإنْ سألتهُم لِمَ لا تقُومُونَ بعملٍ عُمُوميٍّ نافع للبلاد ؟ أجابوكَ « نحْنُ يائِسُونَ من مُستَقْبَلِ الوطَن ، معتقدُونَ ظلمَةَ الأيام الآتية » فبالله كيف يستطيعُ طبيبٌ أن يحْكُمَ عَلى عليلٍ بعدم الشفاء قبل أن يفحص داءَهُ وَيُعْطِيَهِ الدواء ؟ عَلَى أننا نرى الكثيرَ مِنَ الأطباء لا ييأس أبداً من شفاء المريض حتى فى آخر لحظة مِنْ حياته . فكيف

(١) وطيداً : ثابتاً قوياً

ييأسُ رجالٌ من بنى مصرَ مِنْ مستقبل البلاد ؟ وَهُمْ إنْ كانُوا قد خَبَرُوا داء مصر فيعلمُ اللهُ وَيعلمُ الناس أنَّهُمْ إلَى الْيوم مَا قدَّمُوا لها الدَّوَاءَ .

كيف نَيْأَسُ منَ المستقبل ، وَالمستقبلُ بِيَدِ الله وَحْدَه ، وَكثيراً ما تَأتِى الحوادثُ بخلافِ الْمُنْتَظَرِ وَبغَيْرِ حِساب ؟

هى النفوسُ الصغيرةُ التى يُخْلَقُ عِنْدَها الأَمَلُ بكلمةٍ أَوْ بتِلِغْرَافٍ ! ثم يستولى عليها اليأسُ بِكلِمَةٍ أَوْ بتِلِغْرَاف ! أَمَّا النُّفُوسُ الْعَالِيَةُ الْكبيرةُ فيدومُ فيها الأَمَلُ مَا دَامَ الدمُ فِى الْعُرُوقِ وَما دَامت الحياة .

وَأَىُّ حَيَاةٍ تَرْضَاها النفوسُ الشريفة مع اليأس ، أَيَجْمَعُ المرءُ فِى جِسْمٍ وَاحِدٍ الموْتَ وَالحياة ؟ إذ اليأْسُ مَوْتٌ حقيقىٌّ وَأَىُّ مَوْت ؟

كيف نَيْأَسُ وَنحْنُ جميعاً عَالِمُونَ بِأَنَّ ما يَظْهَرُ طويلاً فِى حَياة الْأَفْرَاد هوَ قصيرٌ فِى حَيَاة الشعوب ، فعشرٌ من السَّنَوَات فِى حياة الإنسان طَوِيلَةٌ حَقًّا ، وَلكنَّها فِى حَياة الأمة قصيرةٌ جدًّا ، عَلَى أنه إذا كان اليائسون مُعتقدين بصحة أفكارهم ، فمارٌ عليهم أن يقومُوا فِى الأمة بوظيفة تثبيط همم الآملِين ، والآملون فِى البلاد كثيرون ، بل الْأمَّةُ كلُّها مُؤَمِّلَةٌ خَيْرًا فِى المستقبل . وَإن لم تَظهر إِلَى الآن أعمالُ الآملينَ فستظهرُ بَعْدَ قليل ، وَسَتَرَى الأمة المصرية وَأُمَمُ الْعَالَمِ أجْمَعُ أَنَّ للوطنِ المصرىِّ أَبْنَاءً مُخْلِصِينَ يقدِّرُونَ الْوَطَنِيَّة قَدْرَهَا ، وَيَعْرِفونَ لِمِصْرَ حُقُوقَهَا .

وَلَا غَرْوَ فَإِنّ سُبُلَ خِدْمَة الْوَطَن عَدِيدَة ، وَإِنَّ أَهَمَّهَا إِعْلَانُ الحقيقة في كُلّ بلد وَفى كُلّ زَمَان . فالْحُرِّيَة بنتُ الحقيقة ، وما انْتَشَرَت الحقيقة فى أُمَّةٍ إِلَّا وارتفعتْ كلِمَتُهَا ، وَعَلا شَأْنُهَا . فالحقيقةُ نُورٌ ساطعٌ إذا انْتَشَرَ اخْتَفَى الظُّلم وَالظُّلمة ، وانتشرت الحُرِّيَةُ وَالْعَدْل . فـكما أن الأفرادَ لا تُسْلَبُ حُقُوقُهمْ ، وَلا يَتَعَدَّى اللُّصُوصُ عَلَى أَمْتِعَتِهِمْ ، إِلَّا فى ظَلام اللَّيْلِ الحالك ، فـكذلك شأن الأمم ، لا تُسْلَبُ حقوقُها ، وَلَا يَعْتَـدِى العَدُوُّ عَلَى أَمْلاكها إلَّا إذا كانَتْ الحقيقةُ مَجْهُولَةً فيها ، وكانت هى عائشَةً فى الْجَهْلِ والظلام .

ومن خطبة له ألقاها بالإسكندرية فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ م :

« بِلادى ! بلادى ! لك حُبِّى وَفُؤَادى ، لَكِ حيَاتى وَوُجُودى ، لَكِ دَمِى وَنَفْسِي ، لكِ عَقْلِي وَلِسَانى ، لَكِ لُبِّى وَجنَانى ، فأَنْتِ أَنتِ الْحَيَاةُ ، وَلا حَيَاةَ إِلَّا بِكِ يَامِصْر !

« يَقُولُ الْجُهلاءِ وَالْفُقَرَاءِ فى الْإِدْرَاكِ إِنِّى مُتَهَوِّرٌ[1] فى حُبِّهَا ، وَهَلْ يَسْتَطِيعُ مِصْرِيٌّ أَنْ يَتَهَوَّرَ فى حُبِّ مِصْر ؟ إِنَّهُ مَهْمَا أَحَبَّهَا ، فَلا يَبْلُغُ الدَّرَجَةَ الَّتى يَدْعُو إليها جَمَالُهَا وَجَلالُهَا وَتَارِيخُهَا ، وَالْعَظَمَةُ اللَّائِقَةُ بها .

«أَلا أَيُّهَا اللَّائِمُونَ ! انْظُرُوها وَتَأَمَّلُوها،وَطُوفُوها،وَاقْرَءوا صُحُفَ مَاضِيها وَاسْأَلُوا الزَّائِرِينَ لها مِنْ أَطْرَافِ الأرض : هَلْ خَلَقَ اللهُ وَطَنًا أَعْلَى مَقاماً ،

(١) التهور : الوقوع فى الأمور بغير مبالاة ، ويريد به هنا : التهالك والمبالغة والإفراط .

وَأَسْمَى شَأْنًا، وَأَجْمَلَ طَبِيعَةً ، وَأَجَلَّ آثَارًا ، وَأَغْنَى تُرْبَةً[١] ، وَأَصْفَى سَمَاءً ، وَأَعْذَبَ مَاءً ، وَأَدْعَى لِلْحُبِّ وَالشَّغَفِ[٢] مِنْ هٰذَا الْوَطَنِ الْعَزِيزِ ؟

اسْأَلُوا الْعَالَمَ كُلَّهُ يُجِبْكُمْ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ : إِنَّ مِصْرَ جَنَّةُ الدُّنْيَا ، وَإِنَّ شَعْبَهَا الَّذِي يَسْكُنُهَا وَيَتَوَارَثُهَا لَأَكْرَمُ الشُّعُوبِ إِذَا أَعَزَّهَا ، وَأَكْبَرُهَا جِنَايَةً عَلَيْهَا وَعَلَى نَفْسِهِ إِذَا تَسَامَحَ فِي حَقِّهَا ، وَسَلَّمَ أَزِمَّتَهَا[٣] لِلْأَجْنَبِي .

إِنِّي لَوْ لَمْ أُولَدْ مِصْرِيًّا لَوَدِدْتُ أَنْ أَكُونَ مِصْرِيًّا ؟

قَدْ يَرَى السُّفَهَاءُ وَالطَّائِشُونَ أَنَّ الْانْتِسَابَ لِشَعْبٍ مُسْتَعْبَدٍ كَالشَّعْبِ الْمِصْرِيِّ مِمَّا لَا يَلِيقُ بِإِنْسَانٍ ، وَلَكِنْ أَيُّ شَرَفٍ يَطْمَعُ فِيهِ الْحُرُّ أَكْبَرُ مِنَ الْعَمَلِ لِإِحْيَاءِ الْأُمَّةِ الَّتِي سَبَقَتِ الْأُمَمَ كَافَّةً فِي الْعِلْمِ وَالْمَدَنِيَّةِ وَالْأَدَبِ ؟ أَيُّ رِفْعَةٍ يَسْعَى الشَّرِيفُ إِلَيْهَا أَسْمَى مِنْ إِنْهَاضِ شَعْبٍ كَانَ أُسْتَاذَ الشُّعُوبِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَمُرَبِّي الْعَالَمِ كُلِّهِ ! أَيُّ سُؤْدُدٍ[٤] تَرْمِي النُّفُوسُ الْأَبِيَّةُ إِلَيْهِ أَعْلَى مِنْ إِخْرَاجِ الْوَطَنِ الْمِصْرِيِّ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَإِحْلَالِهِ الْمَحَلَّ الْأَوَّلَ بَيْنَ الْأَوْطَانِ الْأُخْرَى الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّجُنَّةِ[٥] الْحَالِكَةِ[٦] يَوْمَ كَانَتْ بِلَادُنَا مَشْرِقًا لِلْعِرْفَانِ ؟

---

(١) التربة : التراب ويراد بها الارض وجودتها .

(٢) الشغف : شدة الحب وتمكنه .

(٣) الأزمة : جمع زمام ، وهو الحبل تقود به ، والمراد بأزمة مصر هنا : شئونها العامة .

(٤) السؤدد : الشرف والمجد .

(٥) الدجنة : الظلمة .

(٦) الحالكة : الشديدة الظلام .

لَيْتَ شِعْرِى[١] ! أَىُّ لَذَّةٍ وَسَعَادَةٍ وَمُكَافَأَةٍ يَطْلُبُهَا الْوَطَنِىُّ الْمِصْرِىُّ أَكْبَرُ مِنَ اشْتِرَاكِهِ فِى هَذَا الْعَمَلِ الْخَطِيرِ الَّذِى هُوَ أَجَلُّ عَمَلٍ يَرَاهُ الْعَالَمُ فِى الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ ؟

إِنَّ الْمَكْسَبَ الْأَدَبِىَّ لِلْوَطَنِىِّ الْمِصْرِىِّ مِنْ هَذِهِ الْخِدْمَةِ يَرْبُو عَلَى أَتْعَابِهِ[٢] وَمَجْهُودَاتِهِ بِكَثِيرٍ .

١٤ — الشيخ أحمد مفتاح[٣]

كتب فى التَّهَادِى :

الْهَدِيَّةُ (عَمَرَكَ اللهُ بِالْمَعْرُوفِ) تَبْسُطُ يَدَ الْمَوَدَّةِ وَتُدِرُّ أَخْلَافَ الْقُرَبِ[٤] ، وَتَغْرِسُ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ مِنَ الائْتِلَافِ ، بِقَدْرِ مَا تَقْطَعُ بَيْنَهُمَا مِنَ شَجَرِ الْخِلَافِ . وَمَا أَنَا فِيمَا أُهْدِيهِ إِلَيْكَ إِلَّا كَمُسْتَبْضِعٍ تَمْرًا إِلَى أَرْضِ خَيْبَرَ[٥] ، أَوْ كَالْوَاهِبِ الْمَاءَ لِلْبَحْرِ ، وَالضَّوْءَ لِلْبَدْرِ ، وَالْمُلْكَ لِسُلَيْمَانَ ، وَالْمَالَ لِقَارُونَ ، وَالْحِلْمَ لِأَحْنَفَ ، وَالذَّكَاءَ لِإِيَاسٍ وَالتَّفْسِيرَ لِابْنِ عَبَّاسٍ . وَمَا ذَاكَ إِلَّا كِتَابٌ كَمَا تَرَاهُ ضَرَبَ فِى الْإِحْكَامِ بِسَهْمٍ ، وَوَعَى مِنَ الْأَحْكَامِ مَا خَلَتْ مِنْهُ مُفْعَمَاتُ الْأَسْفَارِ ؛ وَمُوجَزَاتُ الرَّسَائِلِ ، فَهُوَ كَمَا قِيلَ :

« كُلُّ الصَّيْدِ فِى جَوْفِ الْفَرَا » :

---

(١) ليت شعرى : ليتنى أشعر . (٢) أتعاب : جمع تعب .

(٣) يتصل نسبه بالعرب ؛ نشأ بمصر ودرس بالأزهر : وعنى بالأدب ، ثم دخل دار العلوم حتى إذا خرج منها اشتغل فى الصحافة والتدريس بدار العلوم . وكانت وفاته سنة ١٣٢٩ هـ . وله عدة مؤلفات ، وطريقته فى الكتابة تخضع للسجع القصير مع القصد فى استعمال البديع .

(٤) الإدرار : الإكثار من اللبن . والأخلاف : جمع خلف ؛ وهو لذوات الخف كالثدى للانسان . والقرب : الصلات . والمعنى أن الهدايا تقوى صلة الأخ بأخيه .

(٥) استبضع تمراً . حمله بضاعة — وأرض خيبر مشهورة بالتمر ، وعنها يصدر .

تَزِينُ مَعَانِيهِ أَلْفَاظَهُ وَأَلْفَاظُهُ زَائِنَاتُ الْمَعَانِى

عَلَى أَنِّى وَإِنْ تَطَفَّلْتُ عَلَيْكَ ، وَسُقْتُ لَكَ هَذَا الْكِتَابَ مُزْدلِفاً[1] إِلَى جَنَابِكَ الرحْبِ ، وَمَقَامِكَ الْأَسْنَى[2] ، فَقَدْ أَصَبْتُ كَبِدَ الصَّوَابِ ، وَوَضَعْتُهُ حَيْثُ يَعْرِفُهُ أَهْلُوهُ ، وَيَتَقَبَّلُهُ مِنْ بَاذِلِهِ عَالِمُوه ، عِلْماً بِأَنَّكَ عِمَادُ الْعُلوم ، وَأَسَاسُ الْفَضَائِل ، لَا تُغَادِرُ شَارِدَةً إِلَّا وَعَيْتَهَا ، وَلَا نَادِرَةً إِلَّا رَوَيْتَهَا ، وَإِلَّا

لَوْ كَانَ يُهْدَى عَلَى قَدْرِى وَقَدْرِكُمُو لَكُنْتُ أُهْدِى لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

١٥ — الشيخ على يوسف[3]

كتب تحت عنوان « لا تعصُّبَ فى مصر » :

التَّعَصُّبُ بالمعْنَى الْمَعْرُوفِ فِى الْغَرْبِ عَنْ أَهْلِ الشَّرْقِ ، وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى عِنْدَ المسيحيين عَنِ الْمُسْلِمِينَ ، هُوَ انْبِثَاثُ رُوحِ الْعَدَاءِ وَالْبَغْضَاءِ مِنَ الآخرِينَ ضِدَّ الْأَوَّلِينَ ، انْبِثَاثاً يَحْمِلُ عَلَى الاعْتِدَاءِ عَلَيهِمْ حِيناً بَعْدَ حِين .

التَّعَصُّبُ بِهَذَا الْمَعْنَى رَذِيلَةٌ مِنَ الرَّذَائِلِ الَّتِى يَنْهَى عَنْهَا الدِّينُ الْإِسْلَامِىّ ، وَالْقَوَانِينُ الاجْتِمَاعِيَّة ، وَفِى نظر الْأُورُبِّيِّينَ هُوَ التَّوَحُّشُ الَّذِى يَفْتِكُ بِنفُوس الْأَبْرِيَاءِ كلَّمَا ثَارَ ثَائِرُهُ ، أَوْ أَشْبَهُ بِالْغُولِ الْكَاشِرِ[4] الَّذِى يَنْدَفِعُ بِعَمَايَةٍ فَيَفْتَرِسُ كُلَّ مَا فِى طَرِيقِهِ مِنْ نُفُوسِ الْبَشَرْ .

---

(١) ازدلف إليه : تقرب .

(٢) الأسنى : الأرفع .

(٣) أصله من بلدة بلصفورة بجرجا ، نشأ نشأة دينية ، ودرس بالأزهر ، ولكنه عنى بالأدب ، وخرج صحفياً بارعاً ذا أسلوب قوى رائع ظهر فى « المؤيد » صحيفته المصرية الإسلامية . ونال منزلة سامية بقوة أسلوبه ، وشدة نفسه ، وذكاء جنانه توفى سنة ١٣٣١ هـ .

(٤) الذى يكشر عن أنيابه .

التَّعَصُّبُ عَلَى هذا مَجْمُوعُ أرواحٍ شرِّيرَةٍ لَا نِظَامَ لها فى ثَوَرَانِهَا وعُدْوَانِها، نَعُوذُ بالله أَن تُرْزَأَ أُمَّةٌ بِهذا البَلَاءِ العَظِيمِ[1].

قالوا إنَّ المصريين مُتَعَصِّبُون تعصباً دينيًا . وَمَعْنَى هٰذَا أَنَّهُمْ يَكْرَهُون الْمُخَالِفِينَ لهم فى الدِّين كَرَاهةً عَمْيَاءَ يَعْتَدُونَ عليهم بِرُوحِ البَغْضَاءِ الْمُتَنَاهِيَة ، كلَّمَا سَنَحَتْ لَهُمْ فُرْصَةُ الافْتِرَاس أو اسْتَفَزَّهُمْ صَائِح .

فى البلاد مِنْ قديم الزَّمان أَديانٌ مُخْتَلِفَة يَتَجَاوَرُ أَهلُوها فى المنازل ، وَيَتَشَارَكُونَ فى المَرَافق[2] ، ويتنافَسُونَ فى الأعمال ، فلم تكُنْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ والأقباط تلك الرُّوحُ الشِّرِّيرَةُ . ولو كانت فى فطْرَةِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ فطْرَةِ الفريقَيْنِ لَلَاشَتْ[3] الأكثريةُ الأقليةَ فى عُصورٍ مَضَت ، وخُصوصاً فى عُصورٍ كانت الجَهَالةُ فيها سائدَة ، وكان بعضُ الحكام من المماليك وغيرهم يَبْذُرون بذُورَ البَغْضَاءِ بينَ الفَرِيقَيْنِ لا لخدْمَةٍ دِينِيَّة إسْلَامِيَّة ، ولكنْ لِأَغْرَاضٍ شَتَّى مَنْشَؤُها الشَّهَوَاتُ وَالمطامع . ولكنَّ التَّوارِيخَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الفَرِيقَيْن عاشا عَلَى الوِئَام[4] والسلام فى كُلِّ الظُّرُوفِ أَوْ أَكْثَرِهَا.

وَفَدَ عَلَى القُطْرِ المِصْرِىِّ مُنذُ أَوَّل عَهْدِ المرحوم مُحَمَّدعلىٍّ باشا الكبير وُفُود من كلِّ الطوائِفِ المسيحيَّة ، غَرْبيَّة وَشرقيَّة : مَنْ أَرْمَنَ وَأَرْوَام وَسُورِيِّنَ وَفَرَنْساوِيِّن وَطليانيين وَإنكليز وَنمْساوِيين وَأَمْريكانيين : مِنْ بُرُوتِسْتَانْت

---

(١) ترزأ : تصاب . (٢) المرافق : يريد شؤون المعاش .
(٤) أى أفنتها . (٤) الوئام : الوفاق .

وكاثوليك وأرثوذكس وغير ذلك من علماء وتجار وصناع وعملة[1] وهمل[2] متشردين، فلقى الكل في مصر صدرًا رحيبًا.

كان منهم الموظفون في كل مصلحة حتى تولى نوبار باشا رياسة النظار في مصر، وكان قائمقام خديو، ورئيس الاحتفال بموكب المحمل الشريف، فهل يوجد في أمة غير الأمة المصرية المسلمة مثل هذا التساهل فيرأس احتفالا دينيًا مسيحيًا مسلمٌ أو غيرُ مسيحي ؟ .

وكان من علمائهم[3] الأساتذة والمعلمون ونظار المدارس والمكتشفون، فهل الأمة التي تربي أبناءها على أيدي الأساتذة من غير دينها، تعد متعصبة ؟؟ وكان التجار على ما يحبون من الرحب والسعة وحسن القبول، فضربوا في البلاد بمتاجرهم من غث وسمين، وجيد ورديء وخالص ومغشوش، حتى صارت مصر من أوسع أسواق متاجر أوربا ومعاملها التي وجدت إقبالا من الأمة هائلا[4].

وهؤلاء بعض الأجانب يقيمون الأكواخ الصغيرة الحقيرة لبيع الخمور الرديئة في كل قرية من قرى القطر، مهما سحقت[5] وقل عددها، أو يربون الخنازير ويثرون شيئًا فشيئًا حتى يكون الصعلوك منهم في بضع سنوات صاحب القرية ومزارعها ومداين أهلها وسيدهم، فهل هؤلاء هم المتعصبون الذين يخشى من شرهم في وادي النيل على الأوربيين ؟ .

---

(١) عملة : جمع عامل . (٢) الهمل : من لا عمل لهم ولا رياسة عليهم .
(٣) أي من العلماء غير المسلمين . (٤) الهائل يريد بها هنا : العظيم، أو الكبير . وأصلها : من هال يهول : إذا راع وأفزع، وكأن الإقبال لعظمه يهول ويروع . (٥) سحقت : بعدت .

١٦ — كتب المرحوم الشيخ حمزة فتح الله[١]

إلى بعض الأفاضل يطلب ودّه

كما أن شَغَفَ[٢] الْجَنان[٣]، بالْحُسْنِ وَالإِحْسَان، تكون داعِيَةُ الْمُشَاهَدَةَ وَتَسْرِيحَ الانْظَار فى مُحَيَّا[٤] الكَمَال، وَمُجْتَلَى[٥] الجمال. فترى الْعَيْنُ مِنْ تِلْكَ الْغُرَّة[٦] ما يَمْلؤها قُرَّة[٧]، فكذلكَ السَّماعُ يَسْتَدْعِى هَذَا الشَّغَف، فَيَتَأَثَّرُ الفُؤَادُ بما يُشَنِّفُ[٨] الأُذُنَ مِمَّا تُهْدِيه إِلَيْهِ طَرَائِفُ[٩] الأَخْبار، حَتَّى كَأَنَّ حَاسَّتَى السَّمْعِ وَالبَصَرِ فى ذَلكَ صِنْوَان[١٠]، بل أخوان، فى هَيكلِ هذا الْجُثْمان[١١].

***

أَلا وَإِنَّ مَحَاسِنَ السَّيِّد الأَجَلِّ لما سارَتْ بها الرُّكْبان، وَأَثْنى عَلَيْها كُلُّ لِسَان، مَا بَيْنَ أَخْلاقٍ أَبهى من الرَّوْضِ النَّضِير[١٢] وَأَعْرَاقٍ[١٣] أَشْهَى مِن عُذَيْبِ النَّمِير[١٤] قَدْ احتَلَّتْ من فُؤَادى لا أقولُ مَنْزِلاً رحيباً، وَلا وَادِياً خَصيباً؛ بل مَنْزِلَةً شَمَّاء[١٥] وَدَارَةً[١٦] عَلْيَاء[١٧]. وَأَوْجاً بِطَوَالِعها السَّعِيدَة يسعد

(١) ولد بالإسكندرية ودرس بالأزهر وأجاد اللغة ونحوها، واشتغل بالصحافة فى تونس ومصر. ثم مدرساً ومفتشاً بالمعارف، وقد توفى سنه ١٩١٨ م.

(٢) الشغف: شدة الحب.

(٣) الجنان بالفتح: القلب.

(٤) المحيا بضم الميم وتشديد الياء: الوجه.

(٥) مجتلاه: منظره

(٦) الغرة: الوجه.

(٧) قرت العين: جف دمعها وبردت من السرور. والاسم منه القرة بضم القاف.

(٨) يشنف الأذن: يطربها وأصله من لبس الشنف وهو القرط.

(٩) الطرائف: الأحاديث المستملحة.

(١٠) الصنوان: الأخوان الشقيقان.

(١١) الجثمان بضم الجيم: الجسم.

(١٢) النضير: الحسن.

(١٣) الأعراق هنا: بمعنى الطباع والصفات.

(١٤) النمير: الكثير من الماء.

(١٥) شماء: عالية.

(١٦) الدارة: الدار، ويريد بها المكانة

(١٧) الأوج: العلو.

وَيلوحُ بِهَا من ذِكرَاهُ كُلَّ حِينٍ فَرْقَدٌ[١] . فلمْ أَنْشَبْ[٢] أَنْ قَدَّمْتُ كِتابى هٰذا لمَوْلَاى بَيْنَ يَدى اللِّقاء عَلَّهُ أَنْ يَسْمَحَ بِهِ الزَّمَانُ ، وَتُشْعِرَ[٣] عَنْهُ اللَّيالى وَالْأَيَّام ، لِيُتَاحَ[٤] لِى رَىّ الفُؤَاد بِمَا أَرْوِيهِ منْ حَديث زَيْد الخَيْلِ الَّذِى سَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلمَ زَيْدَ الخَيْر ، وَقَالَ لَهُ : مَا وُصِفَ لِى أحَدٌ فَرَأَيْتُهُ إِلَّا وَجَدْتُهُ دُونَ مَاوُصِفَ لِى سِوَاكَ ، وَإِنَّ فيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ (الْحِلْمُ وَالْأَنَاة[٥]) مُقْتَدِيًا بِالْإِمَام مَحْمُودٍ جَار[٦] اللهِ فى تَقْدِيم هٰذَا الحديث الشَّرِيف عَلَى مَا أَنْشَدَهُ إِيَّاهُ الشَّرِيفُ ابْنُ الشَّجَرِىّ أَوَّلَ مَا لقيَه ، وَكَانَا قَدْ تَحَابَّا بالسَّماع :

كَانَتْ مُسَاءلَة الرُّكْبَان تُخْبِرُنَا ... عَنْ جَابِر بْن رَبَاحٍ أَطْيَبَ الْخَبَر

حَتَّى اجْتَمَعْنَا فَلَا وَاللهِ مَا سَمِعَتْ ... أُذْنِى بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصَرِى

١٧ — المرحوم حفنى بك ناصف[٧]

كتب إلى الفاضل السيد توفيق البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية :

كتابى إلى السَّيِّد السَّنَد وَلَا أُجَشِّمُهُ[٨] الجَوابَ عَنْهُ فَذَلكَ مَالا أَنْتَظِرُه منْه ، وَإِنَّمَا أَسْأَلُهُ أَنْ يَنْشَطَ إِلَى قِرَاءته ، وَيَتَنَزَّلَ إِلَى مُطَالَعَته ، وَلَهُ الرَّأْىُ بَعْدَ ذَلكَ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ وَيُزَكِّيها ، وَيَحْكُمَ عَلَيْهَا أَوْ لَهَا .

فَقَدْ تَنْفَعُ الذِّكْرَى إِذَا كَانَ هَجْرُهُمْ ... دَلَالًا ، فَأَمَّا إِنْ مَلَالًا فَلَا نَفْعَا

---

(١) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى ؛ وهما فرقدان .
(٢) لم أنشب : لم ألبث .
(٣) تشعر : تكشف .
(٤) يتاح لى . يتهيأ لى .
(٥) الأناة : الوقار والحلم .
(٦) هو الإمام الزمخشرى العالم المفسر المشهور .
(٧) اقرأ ترجمته فى شعره .
(٨) جشمه الأمر : كلفه إياه .

زُرْتُ السَّيِّد ، وَيَعْلَمُ اللهُ أَنّ شَوْقى إِلَى لِقَائِه ، كَحِرْصِى عَلَى بِقَائِه ، وَكَلَفِى[١] بِشُهُودِه[٢] ، كَشَغَفِى[٣] بِوُجُودِه ، فَقَدْ بَعُدَ وَاللهِ عَهْدُ التَّلَاق ، وَطَالَ أَمَدُ الفِرَاق ، وَتَصَرَّمَ[٤] الزَّمَان ، وَأَنَا من رُؤْيَتِهِ فِى حِرْمَان ، فَقِيلَ لِى : إِنَّه خَرَج لِتَشْيِيعِ[٥] زَائِر ، وَهوَ عَمَّا قَلِيلٍ حاضِر ؛ فَانْتَظَرْتُ رُجُوعَهُ ؛ وَتَرَقَّبْتُ طُلُوعَه ، وَلَمْ أَزَل أَعُدُّ اللحظَات ، وَأَسْتَطِيلُ الْأَوْقَات حَتَّى بَزَغَت الْأَنْوَار ؛ وَارْتَجَّ صَحْنُ الدَّار[٦] وَظَهَرَ الاسْتِبْشَارُ عَلَى وُجوه الزُّوَّار ، وَجَاءَ السَّيِّد فِى مَوْكِبِه ، وَجَلَالَةِ مَحْتِدِه[٧] وَمَنْصِبِه ، فَقُمْنَا لاسْتِقْبَاله ، وَهَيْنَمْنَا[٨] بِكَمَاله ؛ فَمَرَّ يَتَعَرَّفُ وُجُوهَ الْقَوْم حَتَّى حَاذَانِى ، وَكَبُرَ عَلَى عَيْنِهِ أَنْ تَرَانِى ؛ فَغَادَرَنِى وَمَنْ عَلَى يَسَارِى ، وَأَخَذَ فِى السَّلَام عَلَى جَارِى ، وَجَرَّ السَّلَامُ الكَلام ، وَتَكَرَّرَ القُعُودُ وَالقِيَام ، وَأَنَا فِى هذه الحَال أُوهِمُ جَارِى ، أَنِّى فِى دارِى ، وَأُظْهِرُ لِلنَّاس أَنَّ شِدَّةَ الْأُلْفَة ، تُسْقِطُ الكُلْفَة ؛ وَمَرَّ السَّيِّدُ بَعْدَ ذَلِكَ من أَمَامِى ثَلَاثَ مَرَّات ، وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَدْرِكْ مَا فَات ، وَأَغْرَبُ مِنْهُ أَنَّهُ اسْتَخْلَصَ لِنَفْسِهِ مِنَ الْمَجْلِس أَرْبَعَة ؛ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْحُجْرَة فَدَخَلُوا مَعَهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا القِيَام ، وَالْإِمْسَاكُ عَنِ الكَلام .

تَمُرُّونَ الدِّيَارَ وَلَمْ تَعُوجُوا   كَلامُكُمُوا عَلَيَّ إِذَنْ حَرَامُ[٩]

---

(١) الكلف بفتحتين : الحب الشديد .
(٢) شهوده : رؤيته .
(٣) الشغف كالكلف .
(٤) تصرم الزمان : انقضى .
(٥) تشييعه : توديعه .
(٦) صحن الدار : ساحتها .
(٧) المحتد : الأصل .
(٨) الهينمة : الصوت الخفى .
(٩) عاج : مال ، أى لم تميلوا إلى .

وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ مَكَانَتِي عِنْدَ السَّيِّدِ لا تُنْكَر ، وَأَنَّ عَهْدِي لَدَيْهِ لَا يُخْفَر[١] ؛ فَإِذَا أَنَا لَسْتُ فِي العِيرِ وَلَا فِي النَّفِير[٢] وَغَيْرِي عِنْدَ السَّيِّدِ كَثِير ، وَذَهَابُ صَاحِبٍ أَوْ أَكْثَرَ عَلَيْهِ يَسِير .

وَمَنْ مَدَّتِ الْعَلْيَا إِلَيْهِ يَمِينَهَا فَأَكْبَرُ إِنْسَانٍ لَدَيْهِ صَغِيرُ

وَلَا أَدَّعِي أَنِّي أُوَازِي السَّيِّدَ (صانَهُ الله) في عُلُوِّ حَسَبِه ، وَأُدَانِيه في علمه وَأَدَبِه ، أَوْ أُقَارِبُهُ فِي مَنَاصِبِه وَرُتَبِه ، أَوْ أُكَاثِرُهُ فِي[٣] فِضَّتِهِ وَذَهَبِه ، وَإِنما أَقُول يَنْبَغِي لِلسَّيِّد أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ مَنْ يَزُورُهُ لِسَمَاعِ الْأَغَانِي وَالْأَذْكَار ، وَشُهُود الْأَوَانِي عَلَى مَائِدَةِ الْإِفْطَار ، وَبَيْنَ مَنْ يَزُورهُ لِلسَّلَام ، وتأييد جَامِعَةِ الْإِسْلَام ، وَأَنْ يفرِّقَ بين مَنْ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ اسْتِخْلَاصاً لِلْخَلَاص[٤] وَمَنْ يَتَرَدَّدُ إِجَابَةً لِدَعْوَةِ الْإِخْلَاص ، وَأَلَّا يَشْتَبِه عَلَيْهِ طُلَّابُ الْفَوَائِد[٥] بِطُلَّابِ الْعَوَائِد ، وَقُنَّاصُ الشَّوَارِدِ[٦] بِنُقَبَاءِ الْمَوَالِد ، وَرُوَّادُ الطُّرَف[٧] بِأَرْبَابِ الْحِرَف .

فما كلُّ مَنْ لَاقَيْتَ صَاحِبَ حَاجَةٍ وَلَا كلُّ مَنْ قَابَلْتَ سَائِلَكَ الْعُرْفَا[٨]

---

(١) خفر عهده : نقضه .

(٢) يقال : هو لا في العير ولا في النفير ؛ أى أنه لا قيمة له ولا يحسب له أى حساب .

(٣) كاثره : فاخره بكثرة المال .

(٤) الخلاص بكسر الخاء : ما انتفى عنه الغش من الذهب والفضة أو الزبد . والمراد به هنا ما يقدم من الصدقة ونحوها .

(٥) العوائد : جمع عائدة وهى المنفعة .

(٦) يريد بالشوارد غرائب اللغة ونوادر الأدب .

(٧) الطرف بضم الطاء وفتح الراء : جمع طرفة بضم الطاء ، وهى الجديد الحسن المتخير .

(٨) العرف : الجود والمعروف .

فإنْ حَسُنَ عِنْدَ السَّيِّدِ أَنْ يُغْضِيَ عَنْ بَعْضِ الأَجْنَاسِ ، فَلا يَحْسُنُ أَنْ يُغْضِيَ عَنْ جَمِيعِ النَّاسِ .

وَلا أَرُومُ بِحَمْدِ اللهِ مَنْزِلَةً غَيْرِي أَحَقُّ بِهَا مِنِّي إِذَا رَامَا

وَإِنَّمَا أَصُونُ نَفْسِي عَنِ الْمَهَانَةِ وَالضَّعَةِ، وَلا أُعَرِّضُهَا لِلضِّيقِ وَفِي الدُّنْيَا سَعَةٌ.

وَأُكْرِمُ نَفْسِي إِنَّنِي إِنْ أَهَنْتُهَا وَحَقِّكَ لَمْ تَكْرُمْ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي

فَلا يُصَعِّرِ[1] السَّيِّدُ مِنْ خَدِّهِ ، فَقَدْ رَضِيتُ بِمَا أَلْزَمَنِي مِنْ بُعْدِهِ ، وَلا يَغُضَّ[2] مِنْ عَيْنِهِ ، فَهَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِهِ ، وَلْيَتَّخِذْنِي صاحباً من بعيد ، وَلا يُكَلِّمْنِي إِلَى يَوْمِ الْوَعِيدِ[3] .

كِلانَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتَهُ وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيا

وَمِنِّي عَلَى السَّيِّدِ السَّلامُ ، عَلَى الدَّوَامِ ، وَمُبَارَكٌ إِذَا لَبِسَ جَدِيداً ، وَكُلَّ عَامٍ وَهُوَ بِخَيْرٍ إِذَا اسْتَقْبَلَ عِيداً ، وَمَرْحَى[4] إِذَا أَصَابَ ، وَشَيَّعَتْهُ السَّلامَةُ إِذَا غَابَ ، وَقُدُوماً مُبَارَكاً إِذَا آبَ ، وَبِالرِّفَاءِ وَالْبَنِينَ[5] إِذَا أَعْرَسَ[6] وبِالطَّالِعِ الْمَسْعُودِ إِذَا أَنْجَبَ[7] ، وَرَحِمَهُ اللهُ إِذَا عَطَسَ ، وَنَوْمَ الْعَافِيَةِ إِذَا نَعَسَ ، وَصَحَّ نَوْمُهُ إِذَا اسْتَيْقَظَ ، وَهَنِيئاً إِذَا شَرِبَ ، وَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ

---

(١) صعر الرجل خده : أماله كبرا وتيها .

(٢) يغض عينه : يغمضها .

(٣) يوم الوعيد : يوم القيامة .

(٤) مرحى بفتح الميم وسكون الراء وفتح الحاء : كلمة تقال مدحا لمن يصيب الرمية .

(٥) بالرفاء والبنين : دعوة لمن يتزوج بالالتئام واستيلاد الأولاد .

(٦) أعرس : تزوج .

(٧) أنجب : ولد له ولد .

إِذَا رَكِب ، وَنَعِمَ صَبَاحُهُ إذا انْفَجَرَ الْفَجْر ، وَسَعِدَ مَسَاؤُهُ إِذَا أَذَّنَ الْعَصْر ، وَبَخ بَخ[١] إذا نَثَرَ[٢] وَلَا فُضَّ فُوهُ[٣] إذا شَعَرَ[٤] ، وَأَجَادَ وَأَفَادَ إِذا خَطَبَ ، وَأَطْرَبَ وَأَغْرَبَ إِذَا كَتَب ، وَإِذَا حَجَّ الْبَيْتَ فَحَجًّا مَبْرُوراً ، وَإِذَا شَيَّعَ جِنَازَتِى فَسَعْياً مَشْكُوراً .

وكتب إلى الشيخ على الليثى رحمه الله يشكره على هدية عنب :

وَصَلَ يَا مَوْلَاىَ إِلَى هذا الطَّرَف ، مَا خَصَصْتَ بِهِ العَبْدَ من الطُّرَف[٥] « قَفَصٌ » من عنب كاللُّؤْلؤ فى الصَّدَف ، تَتَأَلَّق عَنَاقِيدُهُ كَأَنَّهَا مِنْ صِنَاعَة « النَّجَف »[٦] وَلَعَمْرُ الْحَقِّ[٧] إِنَّهَا تُحْفَةٌ مِنْ أَحْلَى التُّحَف ، لَا يُعْثَرُ عَلَى مِثْلِهَا إِلَّا بِطَرِيق « الصُّدَف » فَقَابَلْنَاهُ لَثْماً بِالْأَفْوَاه ، وَرَشْفاً بِالشِّفَاه . وَاحْتَفَيْنَا[٨] بِقُدُومِهِ كُلَّ الاحْتِفَاء ، وَلَمْ نُفَرِّط فى حَبَّةٍ عِنْدَ اللِّقَاء ؛ بَلْ حَلَلْنَا لَهُ الْحُبَى[٩] ، وَقُلْنَا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَباً ، وَأَوْسَعْنَاهُ عَضًّا وَلَثْماً ، وَتَنَاوَلْنَاه تَجْمِيشاً[١٠] وَضَمًّا ؛ وَحَفِظْنَا فى صُدُورِنَا سِرَّه الْمَكْنُون ، وَطَوَيْنَاهُ فى غُضُونِ الْبُطُون ، فَطَرِبَت مِنْ تَعَاطِيهِ الْأَرْوَاح ،

---

(١) بخ بخ : كلمة تقال عند استحسان الشيء والإعجاب به .
(٢) نثر : أرسل القول منثوراً .
(٣) لافض فوه : لاخلا من أسنانه . دعوة توجه لمن يجيد القول .
(٤) شعر : قال الشعر .
(٥) يريد بالطرف : التحف .
(٦) النجف : كلمة مولدة .
(٧) لعمر الحق : قسم بالحق .
(٨) احتفى به احتفاء : أكرمه وأظهر السرور به .
(٩) يقال فلان ممن تحل له الحبى ، أى يقابل بالإجلال والإعظام . والحبى : جمع حبوة وهى مايجمع به مابين الظهر والساق من حبل ونحوه .
(١٠) جمشه تجميشاً : قرصه ولاعبه

وَلَا غَرْوَ[١] فَهُوَ أَصْلُ الرَّاحِ[٢] . وَانْتَشَيْنَا[٣] وَلَمْ نَحْمِلْ وِزْراً ، وَثَمِلْنَا[٤] وَلَمْ نَذُقْ طَعْماً مُرًّا . فَهُوَ كَبَيَانٍ مُهْدِيهِ سِحْرٌ وَلَـكِنَّهُ حَلَالٌ ، وَلَعِبٌ إِلَّا أَنَّهُ كَمَال .

***

وَكَانَ الْأَحْرَى بِهَـٰذَا الْعِنَبِ أَنْ يُنَاطَ[٥] بِالنُّحُورِ ، أَوْ تُزَيَّنَ بِهِ الصُّدُورُ ؛ فَمَا هُوَ إِلَّا اللُّؤْلُؤُ وَلَـٰكِنَّهُ سَلِمَ مِنْ سِجْنِ الْبِحَارِ ، وَمَا هُوَ إِلَّا الدُّرُّ لَـكِنْ لَيْسَ فِيهِ صُغَارٌ[٦] .

وَمَنْ كُنْتَ بَحْرًا لَهُ يَا عَلِيُّ ... لَا يَلْقُطُ الدُّرَّ إِلَّا كُبَارًا[٧]

وَمَا ضَرَّهُ أَنْ ضَمَّهُ الْقَفَص ، (حِصَّةً مِنَ الْحِصَص[٨]) فَإِنَّ كَرِيمَ الطَّيْرِ يُودَعُ فِي الْأَقْفَاص ، وَالْقَلْبُ لَيْسَ لَهُ مِنْ حَنَايَا الضُّلُوعِ خَلَاصٌ . فَلَا بِدْعَ أَنْ تُسْتَقَلَّ فِي حَبَّاتِهِ حَبَّاتُ الْقُلُوب ، وَيُسْتَمْلَحَ فِي جَنْبِ حَلَاوَتِهِ رُضَابُ[٩] الْمَحْبُوب . وَكَأَنَّ الثُّرَيَّا لَمَّا أَخَذَتْ شَـكْلَه ، فَغَرَ الْهِلَالُ فَاهُ[١٠] لِعُنْقُودِهَا يُرِيدُ أَكْلَه ، فَهُوَ يُطَارِدُهَا فِي السَّمَاء ، وَيَأْخُذُ عَلَيْهَا الطَّرِيقَ مِنَ الْوَرَاء . وَهِيَ تَجْرِي مِنَ الْأَمَامِ ، مَخَافَةَ الْالْتِهَام . هَذَا لِمُجَرَّدِ تَشَابُهٍ فِي الشَّـكْلِ

(١) لا غرو : لا عجب .
(٢) الراح : من أسماء الخمر .
(٣) انتشى : سكر .
(٤) ثمل : سكر .
(٥) يناط : يعلق .
(٦) الصغار بضم الصاد : الصغير .
(٧) الـكبار بضم الـكاف : الـكبير .
(٨) الحصة فى الأصل : النصيب واستعملها المحدثون فى معنى الفترة من الزمن يريد وقتا من الأوقات .
(٩) الرضاب بضم الراء : الريق .
(١٠) فغر فاه : فتحه .

فَكَيْفَ بالثُّرَيَّا ، لَوْ أَشْبَهَتْهُ حلاوَة وَرِيًّا[١] ! فَلله تِلْك العَنَاقِيدُ مَا أَشَدَّ تَأَلُّقها[٢] ، وَأَصْفَى مَاءهَا ، وَأَحْسَنَ رَوْنَقَهَا . مِنْ كلِّ عُنْقُود تخَالُهُ عَمُودَ الصُّبْحِ[٣] أَحاطَتْ بِهِ الدَّرَارِيُّ ، أَوْ غصْنَ الْبَانِ[٤] تمَلَّقَتْ بِهِ الْقمَارِيُّ[٥] .

وكتب يعزِّى كبيراً (لعله الشيخ على يوسف رحمه الله فى ولده) :

خَفَّفَ اللهُ لَوْعَتَك[٦] ، وَأَرْقَأَ[٧] دَمْعَتَك ، وَجَنَّبَكَ الْجَزَع[٨] ، وَوَقَاكَ الْهَلَعَ[٩] . وَأَلْهَمَكَ الصَّبْرَ ، وَأَجْزَلَ لَكَ الأَجْر وَرَزَقَكَ مِنَ الْبَنِينَ ، فِى مُسْتَقْبَل السِّنِين ، مَا تقَرُّ[١٠] بِهِ عَيْنَاكَ ، وَيَقْوَى بِهِ عَنَاكَ[١١] ، وَأَنْتَ وَالْحَمْدُ لله فِى قُوَّةٍ وَبَقِيَّة مِنَ الْفُتُوَّة[١٢] تُمَكِّنُكَ مِنَ الأُبُوَّة ، لِخَيْرِ الْبُنُوَّة . عَلَى أَنَّ لَكَ فِى عَالَمِ السِّيَاسَة ، وَضُرُوبِ الكِيَاسَة[١٣] ، فِى هَذه الْبِلَاد ، أَلْوَاناً مِنَ الأَوْلَاد ، وَآثَاراً كُبْرَى ، تَضْمَن لَكَ الذ ِّكْرَى ، وَتجْعَل لَكَ عَلَى مَدَى السِّنِين لِسَانَ صِدْق فِى الآخِرِين ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ .

---

(١) الرى بالكسر : الشبع من الماء .
(٢) تألقها : بريقها .
(٣) عمود الصبح : ضوؤه .
(٤) البان : شجر يضرب المثل بأغصانه فى اعتدال القوام .
(٥) القمارى بفتح القاف وكسر الراء : جمع قرى بضم القاف ، وهو نوع من الحمام حسن الصوت
(٦) اللوعة : حرقة الحزن .
(٧) أرقأ دمعته : جففها
(٨) الجزع : أشد الحزن .
(٩) الهلع : الجزع من المصيبة .
(١٠) قرت العين : بردت من السرور .
(١١) العنا : الجانب .
(١٢) الفتوة : قوة الشباب .
(١٣) الكياسة : الفطنة وصحة الرأى .

١٨ — السيد مصطفى لطفى المنفلوطى(١)

نفس الشاعر

« قطعة من رواية الشاعر ، يخاطب فيها سيرانو لبريه الذى ينصحه بحسن السياسة والمداراة »

أَتُرِيدُ أَنْ أَعْتَمِدَ فِي حَيَاتِي عَلَى غَيْرِي ، وَأَنْ أَضَعَ زِمَامَ نَفْسِي فِي يَدِ عَظِيمٍ مِنَ الْعُظَمَاءِ ، أَوْ نَبِيلٍ مِنَ النُّبَلَاءِ ، يَصْطَنِعُنِي وَيَجْتَبِينِي(٢) وَيَكْفِينِي مَئُونَةَ عَيْشِي ، وَيَحْمِلُ عَنِّي هُمُومَ الْحَيَاةِ وَأَثْقَالَهَا ، فَيَكُونُ مَثَلِي مَثَلَ شَجَرَةِ « اللَّبْلَابِ » لَا عَمَلَ لَهَا فِي حَيَاتِهَا سِوَى أَنْ تَلْتَفَّ بِأَحَدِ الْجُذُوعِ تَلْعَقُ(٣) قِشْرَتَهُ ، وَتَمْتَصُّ مَادَّةَ حَيَاتِهِ ، بَدَلًا مِنْ أَنْ تَعْتَمِدَ فِي حَيَاتِهَا عَلَى نَفْسِهَا !.

ذَلِكَ مَا لَا يَكُونُ .

أَتُرِيدُ أَنْ أَحْمِلَ نَفْسِي عَلَى عَاتِقِي ، كَمَا يَحْمِلُ الدَّلَّالُ سِلْعَتَهُ ، وَأَدُورُ بِهَا فِي الْأَسْوَاقِ مُنَادِيًا عَلَيْهَا : مَنْ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ وَالْأَثْرِيَاءُ(٤) ، وَالْوُزَرَاءُ وَالْعُظَمَاءُ ، وَأَصْحَابُ الْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ ، يَبْتَاعُ نَفْسًا بِذِمَّتِهَا وَضَمِيرِهَا ، وَعَوَاطِفِهَا وَمَشَاعِرِهَا ، بِلُقْمَةِ عَيْشٍ ، وَجُرْعَةِ مَاءٍ ؟ .

---

(١) نشأ السيد المنفلوطى بمنفلوط وتعلم بالأزهر . واشتغل محرراً بالمؤيد . ثم اتصل بالمرحوم سعد باشا زغلول فألحقه بالمعارف ثم الحقانية . وكان كاتباً رقيق القول محكم النسج . يجيد تصوير الشعور الحزين وله شعر قليل توفى سنة ١٣٤٣ هـ تاركا آثاراً علمية جميلة

(٢) يجتبينى : يختارنى

(٣) لعق الشىء : أخذه بطرف لسانه

(٤) الأثرياء : جمع ثرى وهو من عنده مال كثير .

أَتُرِيدُ أَنْ تَسْتَحِيلَ قَامَتِي إِلَى قَوْسٍ مِنْ كَثْرَةِ الأَنْحِنَاءِ وَأَنْ تَتَهَدَّلَ أَجْفَانِي مِنْ كَثْرَةِ الإِطْبَاقِ وَالإِغْضَاءِ ، وَأَنْ تَجْتَمِعَ فَوْقَ رُكْبَتَيَّ طَبَقَةٌ سَمِيكَةٌ مِنْ كَثْرَةِ السُّجُودِ وَالْجُثُوِّ[1] بَيْنَ أَيْدِي الْعُظَمَاءِ ! .

أَتُرِيدُ أَنْ يَكُونَ لِي لِسَانَانِ : لِسَانٌ كَاذِبٌ أَمْدَحُ بِهِ ذَلِكَ الَّذِي صَنَعَنِي وَاجْتَبَانِي ، وَلِسَانٌ أُعَدِّدُ بِهِ عُيُوبَهُ وَسَيِّئَاتِهِ . وَأَنْ يَكُونَ لِي وَجْهَانِ : وَجْهٌ رَاضٍ عَنْهُ ، لِأَنَّهُ يَذُودُ عَنِّي وَيَحْمِينِي ، وَوَجْهٌ سَاخِطٌ عَلَيْهِ ، لأَنَّهُ يَسْتَعْبِدُنِي وَيَسْتَرِقُّنِي ؟

ذَلِكَ مَا لَا يَكُونُ !

أُرِيدُ أَنْ أَعِيشَ حُرًّا طَلِيقًا ، أَضْحَكُ كَمَا أَشَاءُ ، وَأَبْكِي كَمَا أُرِيدُ ، وَأَحْتَفِظُ بِنَظَرِي سَلِيمًا وَصَوْتِي رَنَّانًا ، وَخَطَوَاتِي مُنْتَظِمَةً ، وَرَأْسِي مَرْفُوعًا وَقَوْلِي صَرِيحًا ، أَنْظِمُ الشِّعْرَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَخْتَارُهَا ، وَفِي الشَّأْنِ الَّذِي أُرِيدُهُ فَإِنْ أَعْجَبَنِي مَا وَرَدَ عَلَيَّ مِنْهُ فَذَاكَ ، وَإِلَّا تَرَكْتُهُ غَيْرَ آسِفٍ عَلَيْهِ ، وَأَخَذْتُ فِي نَظْمِ غَيْرِهِ ، بَدَلًا مِنْ أَنْ أَتَوَسَّلَ إِلَى الطَّابِعِينَ أَنْ يَنْشُرُوهُ ، وَالْأُدَبَاءِ أَنْ يُقَرِّظُوهُ ، وَالْمُمَثِّلِينَ أَنْ يُمَثِّلُوهُ ، وَالْعُظَمَاءِ أَنْ يُنَوِّهُوا بِهِ وَيَرْفَعُوا مِنْ شَأْنِهِ !

أُرِيدُ أَنْ أَعِيشَ حُرًّا طَلِيقًا ، أُنَاضِلُ[2] مَنْ أَشَاءُ ، وَأُجَادِلُ مَنْ أَشَاءُ ، وَأَنْتَقِدُ مَنْ أَشَاءُ ، وَأَنْ أَقُولَ كَلِمَتَيِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ لِلأَخْيَارِ وَالأَشْرَارِ فِي وُجُوهِهِمْ ، لَا مُتَمَلِّقًا أُولَئِكَ ، وَلَا خَاشِيًا هَؤُلَاءِ .

---

(١) جثا الرجل يجثو : جلس على ركبتيه

(٢) أناضل : أدافع وأغالب

وكتب أيضاً :

الشـــاعر

إنَّما يَشْقَى فى هَذَا الْعَالَمِ أَحَدُ ثَلاثَةٍ : حَاسِدٍ يَتأَلَّمُ لِمَنْظَرِ النِّعَمِ الَّتِى يُسْبِغُهَا اللهُ عَلَى عِبادِهِ ، وَنِعَمُ اللهِ لَا تَنْفَدُ وَلَا تَفْنَىٰ . وَطَمَّاعٍ لَا يَسْتَرِيحُ إِلَى غَايَةٍ مِنَ الْغَايَاتِ حَتَّىٰ تَنْبَعِثَ نَفْسُهُ وَرَاءَ غَايَةٍ غَيْرِهَا ؛ فَلا تَفْنَىٰ مَطَامِعُه ، وَلَا تَنْتَهِى مَتَاعِبُه . وَمُقْتَرِفٍ جَرِيمَةً مِنْ جَرَائِمِ العِرْضِ وَالشَّرَف ، لَا يُفَارِقُهُ خَيَالُهَا حَيْثُمَا حَلَّ وَأَيْنَمَا سَار ، وَمَا أَنْتَ يَا سَيِّدِى بِوَاحِدٍ مِنْ هَٰؤُلَاء ، فَمِنْ أَىِّ بَابٍ مِنَ الْأَبْوَابِ يَتَسَرَّبُ الشَّقَاءُ إِلَى قَلْبِك .

أَنْتَ شَاعِرٌ يَا مَوْلَاى ، وَقَلْبُ الشَّاعِرِ مِرْآةٌ تَتَرَاءَى فِيهَا صُوَرُ الْكَائِنَات ، صَغِيرِهَا وكَبِيرِهَا ، دَقِيقِهَا وَجَلِيلِهَا ؛ فَإِنْ أَعْوَزَتْكَ[1] السَّعَادَةُ فَفَتِّشْ عَنْهَا فى أَعْمَاقِ قَلْبِك ؛ فَقَلْبُكَ الصُّورَةُ الصُّغْرَى لِلْعَالَمِ الْأَكْبَرِ وَمَا فيه .

السَّمَاءُ جَمِيلَةٌ ؛ وَالشَّاعِرُ هُوَ الَّذِى يَسْتَطِيعُ أَنْ يُدْرِكَ سِرَّ جَمَالِهَا ؛ وَيَخْتَرِقَ بِنَظَرَاتِهِ أَدِيمَهَا[2] الْأَزْرَقَ الصَّافِىَ ؛ فَيَرَى فى ذَٰلِكَ الْعَالَمِ الْعُلْوِىِّ النَّائِى مَا لَا تَرَاهُ عَيْنٌ ، وَلَا يَمْتَدُّ إِلَيْهِ نَظَرٌ .

---

(١) أعوزتك : احتجت إليها .

(٢) الأديم : الجلد . وأديم الأرض والسماء : ما ظهر منها .

وَالْبَحْرُ عَظِيمٌ والشّاعِرُ هُوَ الَّذى يَشْعُر بِعَظَمَتِهِ وَجَلالِه ، وَيَرَى فِي صَفْحَتِهِ الرَّجْرَاجَة[1] الْمُتَرَجِّحَة[2] صُوَرَ الأمَمِ الّتى طَوَاها ، وَالْمُدُنِ الّتى مَحَاها ، وَالدُّوَلِ الّتِي أَبادَها وَهُوَ باقٍ عَلَى صُورَتِه لا يَتَغَيَّرُ وَلا يَتَبَدَّلُ ، وَلا يَبْلَى[3] عَلَى الْعُصُور والأَيَّام .

وَاللَّيْلُ مُوحِشٌ[4] وَالشّاعِرُ هُوَ الَّذِى يَسْمَع فى سُكُونِهِ وَهُدُوئِه أَنِينَ الْبَاكِين ، وَزَفَرَات[5] الْمُتَأَلِّمِين ، وَأَصْوَاتَ الدُّعَاء الْمُتَصَاعِدَةَ إِلَى آفَاق السَّماء ، وَيَرَى صُوَرَ الأَحْلَام الطائِفَةَ بِمَضَاجِع النَّائِمِين ، وَخَيَالات السَّعَادَةِ أَو الشقاءِ الهَائِمَةَ[6] فى رُءُوسِ الْمَجْدُودِينَ[7] وَالْمَحْدُودِين[8] .

الشّاعِرُ يَرَى الْجَمالَ فى كُلِّ شَىْءٍ يَتَنَاوَلُهُ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ ، حَتّى فى الزَّهْرَة الذّابِلَةِ ، وَالنَّبْتَةِ الْحائِلَة[9] ، والنَّحْلَةِ الطّائِرَة ، والْفَرَاشَةِ الْحَائِمَة[10] ، وَفِى مَدَارِجِ[11] النِّمَال وأَفَاحِيص[12] الْقَطَا[13] والنُّؤْى[14] الْمُتَهَدِّم ، وَالْجَدَثِ الْبَالى ، والشَّبَحِ الْمُخِيف ، وَالْخَيالِ الرَّائِع ، وَفِى الضِّفْدَعَةِ الْمُلْقاةِ عَلَى شَاطِىءِ الْبَحْر ،

---

(١) الرجراجة : المتحركة المتماوجة . (٢) المترجحة : المهتزة المضطربة .
(٣) بلى الشيء : تهيأ للفناء .
(٤) موحش : مظلم يبعث على الوحشة والانقباض
(٥) زفر الرجل : أخرج نفسه مع مده إياه ؛ من ضيق وحزن .
(٦) الهائمة : الطائفة .
(٧) المجدودون : جمع مجدود ، وهو ذو الحظ الموفق .
(٨) المحدودون : جمع محدود ؛ وهو ضد المجدود .
(٩) الحائلة : المتغيرة .
(١٠) الحائمة : أى التى لا تفتأ تدور حول النار والنور .
(١١) المدارج : جمع مدرج . موضع الدروج . وهو المشى .
(١٢) الأفاحيص جمع أفحوص بضم الهمزة . وهو الموضع الذى تفحص القطاة التراب عنه لتبيض فيه .
(١٣) القطا : جمع قطاة . وهى طائرة فى حجم الحمام .
(١٤) النؤى : الحفرة التى تحفر حول الخيام ليذهب فيها السيل .

وَالدُّودَةَ الْمُمْتَدَّةَ فِي بَاطِنِ الصَّخْرِ ، فَهُوَ مِنْ خَيَالِهِ الْوَاسِعِ فِي نِعْمَةٍ دَائِمَةٍ لا تَنْفَدُ وَلا تَبْلَى .

أَنْتَ كَالطَّائِرِ السَّجِينِ فِي قَفَصِهِ ، فَمَزِّقْ عَنْ نَفْسِكَ هٰذَا السِّجْنَ الَّذِي يُحِيطُ بِكَ ، وَطِرْ بِجَنَاحَيْكَ فِي أَجْوَاءِ هَذَا الْعَالَمِ الْمُنْبَسِطِ الْفَسِيحِ ، وَتَنَقَّلْ مَا شِئْتَ فِي جَنَبَاتِهِ وَأَكْنَافِهِ[1] ، وَاهْتِفْ[2] بِأَغَارِيدِكَ[3] الْجَمِيلَةِ فَوْقَ قِمَمِ[4] جِبَالِهِ ، وَرءُوسِ أَشْجَارِهِ ، وَضِفَافِ[5] أَنْهَارِهِ ، فَأَنْتَ لَمْ تُخْلَقْ لِلسِّجْنِ وَالْقَيْدِ بَلْ لِلْهُتَافِ وَالتَّغْرِيدِ .

١٩ — سعد زغلول باشا[1]

وَجَّهَ رحمه اللهُ هذا النِّداء إلى الأمة المصرية عقب عودته إلى مصر في صدر سنة ١٩٢١ م :

رَحَّبَتِ الْأُمَّةُ بِعَوْدَةِ نُوَّابِهَا تَرْحِيباً فَاقَ كُلَّ تَرْحِيبٍ ، وَأَعْجَزَ وَصْفَ كُلِّ كَاتِبٍ وَخَطِيبٍ ، فَقَدْ أَتَى أَفْرَادُهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِدَافِعٍ مِنْ ضَمَائِرِهِمِ النَّيِّرَةِ ، وَبَاعِثٍ مِنْ شُعُورِهِمُ الْحَيِّ ، تَرْتَعِشُ أَعْصَابُهُمْ حَمَاسَةً ، وَتَخْفِقُ قُلُوبُهُمْ بِالْوَطَنِيَّةِ الصَّادِقَةِ ، لِلالْتِفَافِ حَوْلَ مَنِ اتَّخَذُوهُمْ رَمْزَ أَمَانِيِّهِمْ وَعُنْوَانَ مَبَادِئِهِمْ .

---

(١) أكنافه : نواحيه . (٢) هتف : مد صوتك .
(٣) الأغاريد : جمع أغرودة . وهى غناء الطائر .
(٤) القمم : جمع قمة وهى أعلى الجبل . (٥) ضفاف : جمع ضفة . وضفة النهر : جانبه .
(٦) يعد سعد زغلول باشا زعيم الخطابة العربية فى عصره — درس فى الأزهر دراسة استقلالية أعدته ليكون كاتبا نابغاومحاميا بارعا وقانونياً قديراً كان زعيم النهضة السياسية حتى توفى سنة ١٩٢٧ م.

وَلَقَدْ رَأَيْت آيَاتِ الْحِكْمَةِ وَالْكَرَامَةِ وَالثَّبَاتِ تَتَجَلَى فِيما اسْتُقْبِلْنَا بِهِ مِنْ مَظاهِرِ الْفَرَحِ الْبَاهِرِ — تِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِى تَضْمَنُ لِلشُّعُوبِ تَقَدُّمَها وَلِلأُمَمِ سَعَادَتَهَا . وَشَعَرْتُ مِنْ قُبُلاتِ التَّرْحِيبِ الَّتِى غمَرُونا بِهَا بِحَرَارَةِ قَلْبٍ يَخْفِقُ فى جِسْمِ شَعْبٍ عَظِيم . وَقَدِ اشْتَرَكَ الأَمْوَاتُ وَالأَحْيَاءِ فِى أَنْ يُمْلُوا عَلَى الْمَجْمُوعِ وَكلٍّ فَرْدٍ وَاجِبَهُ نَحْوَ الْوَطَنِ الْعَزِيزِ ، وَأَجْمَعَ الْكلُّ عَلَى مُطَالَبَتِنَا بِمُوَاصَلَةِ السَّيْرِ فِى الطَّرِيقِ الَّذِى سَنَّهُ الْحَقُّ الْقَوِيمُ .

وَإِنّ الشَّرَفَ وَالْكَرامَةَ والإِخلاصَ لِوَطَنِنَا الْمُقَدَّسِ لَمِمَّا يُوجِبُ عَلَيْنَا طَاعَةَ هَذَا الأَمْرِ الْكَرِيم ، وَالْتِزَامَ هَذَا الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيم .

إِنَّنَا نَشْكُرُ الْبِلاَدَ جَمِيعَهَا ، قَرِيبَهَا وَبَعِيدَهَا ، عَلَى حُلَّةِ الثِّقَةِ[1] الَّتِى زَيَّنَتْنَا بِهَا ، وَنُقْسِمُ بِالْوَطَنِ وَشَعَائِرِهِ[2] الْمُقَدَّسَةِ — وَيُشَارِكُنَا فِى هَذَا الْقَسَمِ الْعَظِيمِ أَصْحابُنَا الْمُخْلِصُونَ فى جِهَادِهِمْ — أَنَّنَا لاَ نَدَّخِرُ شَيْئًا مِنْ وُسْعِنَا لِتَحْقِيقِ هذِهِ الثِّقَةِ الْغَالِيَة ، وَلا نَتَحَوَّلُ لَحْظَةً وَاحِدَةً عَنِ الْغَرَضِ الَّذِى وَضَعْنَاهُ نُصْبَ[3] عُيونِنَا حَتى نَصِلَ إلَيْه .

إِنّنا لم نَعُدْ إِلَّا لِنُقَوِّىَ بِعَزَائِمِ مُوَاطِنِينَا الْكِرامِ عَزائِمَنا ، وَنَشُدَّ أَزْرَنَا بِاتِّحَادِهِم الْمَتِين ، وَنَتَمَتَّعَ بِمَرْآهُمْ بَعْدَ طُول هٰذِهِ الْغَيْبَة ، وَنَتأَكَّدَ مِنْ أَنَّ الاشتراكَ فى المفاوضات الرَّسْمِيَّةِ الّتى دعتْنَا الوزارة الجديدة له مُتَّفِقٌ مَعَ المبادِئِ الَّتى وَضَعَتْهَا الأُمَّة ، وَعَاهَدْنَاهَا عَلَى احْتِرَامِها ، وَمَعَ الْخُطَّةِ الّتى رَسَمْتَهَا

---

(١) الحلة : الثوب . (٢) الشعائر : العلامات والمعالم . (٣) نصب عيوننا : أمامها .

وَتعهَّدْنا بِمُتَابعَتِهَا ، وَلاَ شَىْءَ أَحَبُّ إِلَى قُلوبِنَا مِنْ أَنْ نَخْدُمَ بلادنا بالاتِّفَاق مع كلِّ هيْئةٍ مُسْتَعِدَّة لأن تَسْتَرْشِدَ بإِرَادَة الأُمَّة ، وَعامِلَة عَلَى تحْقيق غايتِهَا السَّامِيَة .

لم يبْق علَيْنَا إلَّا أَنْ يعودَ كُلٌّ مِنَّا إلى عمَلِه ، وَيُقْبِلَ عَلَى شأْنِهِ : فالتلميذ إلى مَدْرَسَتِه، وَالْفَلَّاحُ إلَى مَزْرَعَتِه ، وَالصَّانعُ إلَى مَصْنَعِه ، وَالتَّاجِرُ إلَى مَتْجَرِه ، وَالكَاتِبُ إلَى مَكْتَبِه ، والمرأَةُ إلَى إدَارَةِ بَيْتِهَا ، وعَلَى الكُلِّ مِنْ غَنِيٍّ وَفقير أَنْ يُبَاشِرَ عَمَلَهُ ، مُرَاقباً أَعْمَالَنا ، واضعاً نُصبَ عَيْنَيْهِ المَقْصِدَ الأَسْمَى ، وَأَنْ يعْتَقِدَ أنَّهُ يَزِيدُ بِمَا يَعْمَلُ فى كُنُوزِ الْوَطَنِ كنزاً ، وَيَضُمُّ إِلَى قُوَاهُ قُوَّةً .

إِلَى العَمَلِ جَمِيعاً لنَرْفَعَ مَنَارَ الْوَطَنِ وَنُعْلِيَ كلِمَتَه ، وَلْتَحْيَ مِصْرُ .

٢٠ — محمد بك المويلحى[1]

كتب من مصر إلى منيف باشا وزير المعارف فى تركيا يعزيه فى ابنته :

إِلَى الْوَزِيرِ الَّذِى ترتَعِشُ بنَظْرَةٍ مِنْهُ عُقَدُ السِّيَاسَة حتى تَنْحَلَّ مِنْ شِدَّةِ الارتِجَافِ ، والأَمِيرِ الذى يَنْتَعِشُ بِهِ سُرُوراً دَسْتُ[2] الرِّيَاسَة ، حَتَّى يَتِيه عَلَى الأَسْلَافِ ، والفَيْلَسُوفِ الَّذِى تَفَرَّعَتْ عَنْهُ أُصُولُ الحِكَمِ ، وَالهُمَامِ الَّذِى أَعْيَا

---

(١) هو ابن المرحوم إبراهيم بك المويلحى . أخذ الأدب عن أبيه ، واتصل بكبار أئمة العلم والأدب فى عصره . وحذق التركية وطائفة من اللغات الأوربية . ويمتاز قلمه بصفاء الديباجة ، ونصاعة الألفاظ ، وتلاحم النسج ، ومتانة السجع ، وقد أوتى من البراعة فى فنون الوصف ما لا يتعلق فيه بغباره وله (حديث عيسى بن هشام) وكان قد نشر منجماً فى جريدة « مصباح الشرق » التى كان يحررها مع أبيه توفى سنة ١٩٣٠ .

(٢) الدست : الكرسى .

النجومَ أن تباريَه فى عُلوِّ الهِمَم ، وَالرَّفِيع الذى سارَتْ عنهُ أَمْثالُ المجْدِ المُؤَثَّل[1] ،
وانتشرَ عَلَى السُّمَّار[2] حَديثُ فضْله المرتَّل :

إلَى قطبِ[3] الدُّنْيَا الذى لَوْ بِفَضْلِهِ مَدحتُ بَنى الدُّنيا كَفتهمْ فضَائلُهْ

مِنْ عَبْدٍ لدَوْلَتِه ، لهُ الشَّرَفُ الْأَسنَى بهٰذِهِ النِّسْبَة بَعْدَ أَبيهِ ، والفَخْرُ الأَعْلَى
بذلِكَ وأفانِينُ التِّيه[4] . دَهمَهُ خَبرُ المُصَاب الّذى أَنْقَضَ[5] ظَهْرَه ، وَأَرْضَى
دَهْرَه[6] ، عَلَى أنَّ الموت — أطال اللهُ بقاءَ المجْد بطول بقائك ، وأدامَ رَوْنَقَ
الْفضْل بدَوَامِك — بابٌ مِنْ أَبْوَابِ الطبيعة لَا مَفرَّ للإِنْسَانِ مِنْ وُلُوجٍ فيه ،
وَعوْنٌ مِنْ أَعْوانِ الحياة لَا بُدَّ لِلْحَىّ مِنْ توافِيه[7] . وَاسْمُ الحياة لا مَعْنَى لهُ بغَيْرِ
اسْمِ المَوْت ، وَلَفْظُ الْعَيْش مُتضمِّنٌ لِلَفْظِ الْفَوْت[8] . وَلقد قيل لحكيمٍ مثلك :
ما سببُ مَوْتِ فلانٍ . قالَ : كَوْنُه[9] ، فَعجيبٌ بَعْدَ ذلِكَ من ابْنِ آدمَ ثُكْله
وَحزْنُه . وَإِنِّى أَتيقَّنُ أَنَّ مَوْلَاىَ الْوَزيرَ مَا تجاسرَ أنْ يَلْمَسَ أَذْيالَهُ رسولُ الْحُزْن
وَالْأَسَى ، وَلا عَارَضَ نورَ حكمَتِه عَارِضٌ مِنْ ظُلْمَةِ ذَاكَ الدُّجَى[10] ، وَما تَسنَّى

---

(١) المؤثل : الأصيل الثابت .
(٢) السمار : المتسامرون ، المتحدثون ليلا . وفى الليل يجتمع الناس عادة للتحدث .
(٣) قطب الشيء . مداره وملاكه الذى يعمل به . وقطب القوم : سيدهم الذى يدور عليه أمرهم .
(٤) التيه : الكبر والخيلاء .
(٥) أنقض ظهره : أثقله .
(٦) كل امرىء يحسب دهره عاملا على إيذائه يرضيه أن يتوالى عليه الضرر ، وينزل به المكروه .
(٧) توافى إلى المكان : حضر إليه .
(٨) الفوت : الهلاك .
(٩) كونه : أى حياته .
(١٠) الدجى : الظلمة .

لِطفَيْلِيِّ الْفزَعِ أنْ يتَلمَّظَ[1] عَلَى مائِدَة حِلْمِهِ بَعْدَ ارْتقاء هَضَبَاتهِ[2] ؛ وَلاَ طَمعَ أَشْعَبٍ[3] الْجزَعِ فِى اسْتِجْدَاءٍ من مَعْدن وَقَارِهِ وَثبَاته .

لَــكِنَّما الفقيدةُ التى اختارتْ رُوحَها فداءً لبنات مَعَاليكَ وَمجْدك ، وَرَضِيَتْ أن تَــكُونَ نفْسُها زَكاةً لِــكُنُوز فضَائلكَ وَسَعْدك ، تَسْتَوْجِب من جهتَيْن لاَ مِنْ جِهَةٍ ، أنواعَ الأسَف ، وَيَنْبَغى لَهَا إرْسَالُ الدَّمْعِ الْمُنْذَرِف[4] ، وَاحْتِرَاقُ الــكَبِد عَلَيْهَا مِنْ طَرَفَيْن لا منْ طَرَف — الأول : أن الوَرْدَةَ قَدْ اقْتُطِفَتْ قَبْلَ إبَّانِها[5] ، وانتزِعَتْ من أفْنَانِهَا[6] قبلَ أَوَانِهَا ، وَاقْتُنِصَتْ الظَّبْيَةُ مِنْ خَمائِلِهَا ؛ قبل استـكمالِ مَخَايِلِهَا[7] ؛ وَاخْتُطِفَت الحمامة من وَكْرِها قبل أن يُطوَّقَ جِيدُهَا وَيَنْتَظِمَ نَشِيدُهَا ، وَاقْتُصِفَ الْغُصْن قبل إثمَاره ، وَانْمَحَقَ[8] الهلاَلُ قبلَ إبداره . وَحِينَ البَدْء فى دَوْر مِنْ أَدْوَارِهِ ، وَشُعَاعُ أَمَلٍ لَفَّ عَلَيْهِ السَّحَابُ رِدَاءه ، وَسَاعَةُ سُرُورٍ نَبذَهَا حَسَدُ الأيامِ وَاللَّيالِى وَرَاءه :

إنَّ الفَجيعَةَ بالرِّيَاضِ نَوَاضِرًا   لَأَجَلُّ منهـا بالرِّيَاضِ ذَوَابِلا

---

(١) تلمظ الشيء : تذوق منه قليلا .
(٢) هضبات : جمع هضبة وهى المـكان المرتفع .
(٣) أشعب : اسم رجل يضرب به المثل فى الطمع .
(٤) المنذرف : السائل .
(٥) إبان الشيء : أول وقته . أى قبل اكتمال نضرتها .
(٦) جمع فنن وهو الغصن المستقيم .
(٧) مخايلها : صفاتها وحماستها .
(٨) انمحق : اضمحل وانمحى .

والثانى : لأنِّي لستُ منْ رَأْيِ من يَنْسُب إلى النَّبِيِّ أنه قال : « نِعْمَ الْخَتنُ القَبر[1] » ، ولا من رَأْيِ العَرَب حينَ تَتَبَجَّحُ بِمُصَاهَرَةِ[2] القُبور ، وهَضْم حَقِّ الإناث وتفضيل الذُّكور . ولا أرانى من مَذْهَبِ الشيخ المَعَرِّىِّ[3] وَمَنْ قَبْله حيث يقول :

ودَفْنٌ ، وَالْحَوادِثُ فاجِعَاتٌ لإِحْدَاهُنَّ إحدَى الْمَكْرُمَاتِ[4]

ولا من جانِب الفَرَزْدَق وَيُرْوَى عَنْهُ :

وَأَهْوَنُ مَفْقُودٍ إِذَا الْمَوْتُ نَالَهُ عَلَى المرْءِ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ تَقَنَّعَا

ولا أَلْتَفِتُ لِنَاحِيَة البُحْتُرِىِّ وَيُنْشَدُ له :

وَلَعَمْرِى مَا الْعَجزُ عِنْدِى إلَّا أن تَبيتَ الرجالُ تَبْكِى النِّسَاءَ[5]

فَسِيَّانَ فى حكم الطبيعة مُقَنَّعٌ[6] بِلَامَةِ الحَدِيد[7] فى الْهَيْجَاءِ[8] ، وَمُقَنَّعَةٌ بِلَامَة[9] الحرير مِنَ النِّسَاء . وَإِنَّمَا الْفَضْلُ بَيْنَهُمَا لِمَنْ جَاءَ بالْعَاقِبَةِ الْحُسْنَى ، وَلِمَنْ قَلَّ ضَرَرُهُ وَأَتَى بالنَّفْعِ الأَسْنَى[10] ، وَشَتَّانَ فى حكم الإِنْسَانِيَّةِ بَيْنَ

(١) الختن : زوج الابنة

(٢) كان العرب يكرهون البنات خشية العار ، وربما دفنوا البنت حية . وقد أبطل الإسلام ذلك .

(٣) هو أبو العلاء المعرى الشاعر الفيلسوف .

(٤) هذا البيت من قصيدة له كلها تهجين للمرأة وازدراء بها .

(٥) من قصيدة له يعزى فيها عن بنت توفيت .

(٦) تقنع الشيء لبسه .

(٧) اللامة : الدرع ، وهو مايتقى به المحارب سلاح عدوه.

(٨) الهيجاء : الحرب .

(٩) أى لابسة ثوب حرير .

(١٠) الأسنى : الأرفع .

قائدٍ للجيشِ مُعلم[1] ، وعذراء تُطرِّز في ثوبها وتُنمنم[2] . ذاك يُشير بنانه لتيتيم الأطفال ولتخريب البلاد ، وتلك يُشير بنانها لحبّات القلوب بعقد الوداد . وفرقٌ عظيمٌ بين يدٍ مُخضّبةٍ بالدماء ، وأخرى مخضّبة بالحنّاء ، وبين من يحتضن الأطفال ويُربّيها وبين من يُشتّتها ويُعذّبها ، وبين كفّ لا حِليَة لها إلا السيوفُ البواتر ، وأُخرى إنما حليتُها الخواتم والأساور ، وكم جلبت تلك من فظائع مشهورةٍ ، وكم لهذه من يدٍ بيضاء مشكورة :

وليس الخمسُ[3] ضاربةً بسيفٍ نظيرَ الخمس ضاربةً بدُفٍّ
أباغِي حظّه بقنا[4] وخيلٍ كباغيه بمنوالٍ وحفّ[5]

ومولاي — أعزّ اللهُ الفضلَ بوجوده — يعلمُ حكايةَ إحدى العذارى مع عبد الله بنِ طاهر إذ ردّت بوقفةٍ منها أمامَ الجيش غَرْبَ[6] الجيش عن قصده ، وأدخلت سيفَ القاهر الجبّار في غمده ، ونجّت قومها من الخراب ، وأنقذتهم من أليم العذاب ؛ حتى قال عبدُ الله قصيدةً في ذلك ؛ منها :

نحنُ قومٌ تُذيبُنا الأعينُ النُّجْلُ[7] على أنّنا نُذيبُ الحديدا
طوعَ أيدي الغرام تقتادُنا الغيدُ[8] ونقتادُ بالطعان الأسودا

---

(١) معلق عليه صوف ملون في الحرب .

(٢) نمم الشيء : زخرفه وزينه .

(٣) يريد الأصابع الخمس .

(٤) القنا : الرماح .

(٥) المنوال : الخشب الذي يلف عليه الثوب وكان النسج من صنيع النساء ، والحف من حفت المرأة وجهها من الشعر : أزالته .

(٦) غرب الشيء : حده ، والمراد : ردته عن وجهه .

(٧) النجل : جمع نجلاء ، وهي العين الواسعة الحسنة .

(٨) الغيد : جمع غيداء ، وهي اللينة الأعطاف .

والأخرى التى لها مَا يُمَاثِلُ ذلك معَ أحد مُلوكِ الفُرْس وهو يُحَارِبُ قَوْمَهَا فى بلاد يَهُودا أثناء الزمَنِ الأَوّلِ ، إلى غير ذلك من هَذِهِ الوقائع .

هذا ما قوّى وَقْعَ المصيبة فينا ، وأمَدَّ[1] جيوشَ الْهُمُوم عَلَيْنَا . أَمَّا مَوْلاَىَ الوزيرُ فمِا يُبْعِد الْأَسَفَ منْه ، ويُزِيل الكَدَر عَنْه ، عِلْمه بضَوْء حِكْمَتِه ، ونورِ فَلسفتِه ، أنه ما فقَدَ تلك الفقِيدَة ، وما صَارَتْ عَنْهُ بَعِيدَة ، فَهُوَ يَسْتَنْشِقُهَا فى رَوَائِح الْأَزْهَار ، وَيرَاهَا فى أَغْصَانِ الْأَشْجَار ، وَيَسْمَعُ صوتَهَا فى صَوْتِ الأطيار ، وَتمرُّ عليه فى ريحِ الصَّبا[2] من لَيَالِى الرَّبيع ، وَيُشَاهِدُهَا فِى كلِّ شَكْلٍ لطيف أوْ بَدِيعٍ .

أَلْهمَنَا اللهُ عليها جَزِيلَ الصَّبْر ، وَأَلْبَسَ مَوْلاَىَ الوزير ثوْبَ الْأَجْرِ ، إنْ شَاءَ اللهُ .

وقال فى وصف الصباح (من كتابه : حديث عيسَى بن هشام) :

جَلَسْنَا نَتَجاذب أطرافَ الحديث ، مِنْ قَدِيمٍ فى الزمانِ وَحَديثٍ ، إلى أَنْ صارت اللَّيْلةُ فِى أُخْرَيَاتِ الشَّبابِ ، واستهانَتْ بالْإِزارِ وَالنِّقَاب ، ثم دَبَّ الْمَشِيبُ فِى فَوْدها[3] ، وبانَ أَثَر الْوَضَح[4] فى جِلْدِهَا ، فعبثَتْ بالعُقود وَالْقَلاَئِد ، من الْجوَاهِر وَالْفَرَائِدِ ، وَنَزَعَتْ من صَدْرِهَا كلَّ منثورٍ ومنظومٍ

---

(١) جاء إليها بالمدد .
(٢) الصبا : ريح مهبها جهة الشرق .
(٣) الفود : الشعر الذى فى جانب الرأس مما يلى الأذنين من الأمام .
(٤) وضح الجلد : ما يصيبه من البرص ونحوه . ويكنى الكاتب به عن ضوء الصبح .

مِنْ دُرَرِ الكَوَاكِب ولآلئ النُّجُوم ، وَأَلقَتْ بالفَرْقَدَيْنِ[١] مِنْ أُذُنِهَا ، وَخَلَعَتْ خواتيمَ الثُّرَيَّا[٢] مِنْ يَدَيْهَا ، ثُمَّ إنَّهَا مَزَّقَتْ جِلْبَابَهَا ، وَهَتَكَتْ حِجَابَهَا ، وَبَرَزَتْ للنَّاظرين عَجُوزاً شَمْطَاء[٣] ، ترتَعِد مُتَوَكِّئَةً عَلَى عَصَا الْجَوْزَاء[٤] ، وَتُرَدِّد آخرَ أنفاس البقاء ، فَسَتَرَهَا الْفَجْرُ بِمُلَاءَتِهِ الزَّرْقاء ، وَدَرَجَهَا[٥] الصُّبْحُ فى أَرْدِيَته البَيْضاء ، ثُمَّ قَبَرها فى جَوْف الفَضَاء ، وقامت عليها بناتُ هَديلٍ[٦] ، نَائِحَةً بالتسْجيعِ وَالتَّرْتِيل ، ثُمَّ انْقَلَبَ الْمَأْتَمُ فى الحال عُرْسَ اجْتِلاءٍ ، وَتَبَدَّلَ النَّحِيبُ بالغناء ، لإشْرَاق عَرُوس النَّهَار ، وَإِسْفَار مَلِيكَة البدُور والأَقْمَار .

وقال فى وصف الأَهْرام :

وَقَفْنَا هُنَاكَ موقفَ الإجْلَالِ والإِعْظَام ، قُبَالَةَ ذلك العَلَمِ[٧] الَّذِى يطاول الرَّوَابِيَ والأَعْلَامِ ، وَالْهَضَبة التى تَعْلُو الهِضَابَ والآكام[٨] ، والبِنْيَّة[٩] التى تشرف على رَضْوَى وَشَمام[١٠] ، وَتُبْلِى ببقائها جدّة اللَّيالِي وَالْأَيَّام ، وَتَطْوِى تحت ظِلَالها أَقْوَاماً بَعْدَ أَقْوَام ، وتُفْنِى بدوامها أعمارَ السِّنِين والأَيَّام ، خَلقَتْ ثِيَابُ الدَّهْرِ وهيَ فى ثَوْبِها القَشِيب ، وشابَتْ القُرُونُ وَأَخْطَأَ قَرْنَها وَخْطُ الْمَشِيب ، ما بَرِحَتْ ثابتةً تُنَاطِحُ مَواقع النُّجُوم ، وَتَسْخَرُ بِثَوَاقِبِ الشُّهب

---

(١) الفرقدان : نجمان قريبان من القطب الشمالى ، يهتدى بهما فى الليل ، وقد شبههما بالقرط فى أذن المرأة .
(٢) مجموع كواكب.
(٣) مشى البياض فى شعرها .
(٤) الجوزاء : برج فى السماء .
(٥) درجها : طوها.
(٦) بنات هديل : الحمام.
(٧) قبالة : أمام وتجاه . والعلم : الجبل.
(٨) الآكام : جمع أكمة ، وهى التل .
(٩) البنية : البناء .
(١٠) رضوى وشمام : جبلان .

وَالرُّجُوم ، وَتُحَدِّث حديثَ المشاهَدة والعِيان ، ما تعاقَبَ الفتَيان[١] ، وتناوَبَ المَلوان عَنْ قُدْرَة هَذَا الإِنْسَان ، فى بدائع الصُّنْع والإِتْقَان وتُنْبئُ عَنْ قُوَّة هَذَا الضَّعيف الضَّئِيل ، فى إقامَةِ مثل هذا الأثر الجْلِيل ، وَكَيْفَ لِهَذَا الفانى البائد ، أن يَصْدُرَ عنهُ مثلُ هذَا الباقى الخالد — وَجَلَّ صُنْعُ القَدِيرِ الخالق ، فى تَصْوِيرِ هذَا الحيوانِ النَّاطق ، حيثُ جعلَهُ مَصْدَراً للأعمال المتناقِضَة ، والأفعال المُتَغايرةِ المتعارضة ، فَبَيْنَا تَرَاهُ يَصْعَدُ إلى أجْرَامِ السَّماَء وَعَوَالِمها ، ويبحثُ بفِكْرهِ فِى رُسُومِها ، ومعالِمها ، ويَسِيرُ بعِلْمهِ فى أنْحَائها ومناكبها ، ويَهْتَدِى لحساب أقْمَارها وكواكبها ، إذْ تَرَاهُ يَعْثُرُ عَثْرَةً برجْلِهِ ، فيَكُونُ فِيها مُنْتَهَى أجَلِهِ ، أوْ يَكْبُو فِى طَريقه ، فَيَغَصُّ بريقه . ذَاكَ الَّذِى كَبُرَ وصغُر ، وَعَظُمَ وَحقُر ، وَعزَّ وَذلَّ ، وَكَثُرَ وقَلَّ ، وصَعد وَهَبط ، وَعَلا وَسَقَطَ ، وَصَلَحَ وفَسَد ، وَعَرَفَ وجَحَد ، وسَعد وشَقِى ، وَفَنِىَ وَبَقِى ، وسُبْحانَ القَاهِرِ فَوْقَ عِبَاده .

٢١ — مصطفى صادق الرافعى[٢]

قال يصف البلاغة النبوية :

هٰذهِ البَلاغَةُ الإِنْسَانِيَّةُ الَّتِى سَجَدَت الأَفْكار لآياتها ، وَحَسَرَت[٣]

---

(١) الفتيان والملوان : الليل والنهار .

(٢) عنى فى مطلع حياته بالشعر ، فأخرج ديواناً فى ثلاثة أجزاء ، ثم تجرد للنثر ، فأجاد فيه ، وترك النظم إلا فى النادر وهو قوى التوليد للمعانى ، بالغ التجويد للألفاظ ، واسع الاطلاع على الأدب العربى ، وقد كان شديد الغيرة على العروبة ، وكان يكثر من المجازات والتشبيهات ، ويتخير من الألفاظ الجزل والفخم . توفى سنة ١٩٣٧ م .

(٣) حسرت العقول : ارتدت وتخازلت .

الْعُقُولُ دُونَ غَايَاتِهَا . لَمْ تُصْنَع ، وَهِيَ مِنَ الإِحْكَام كأَنَّهَا مَصْنُوعَة ، وَلَمْ يُتَكَلَّفْ لهَا ، وَهِيَ عَلَى السُّهُولَةِ بَعِيدَةٌ مَمْنُوعَة[1] .

أَلْفَاظُ النُّبُوَّةِ يَعْمُرُهَا قَلْبٌ مُتَّصِلٌ بِجَلَالِ خَالِقِهِ ، وَيَصْقُلُهَا لِسَانٌ نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآن بِحَقَائِقِه ، فَهِيَ إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَحْى ، ولكنَّهَا جَاءَتْ مِنْ سَبِيلِه ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لهَا مِنْهُ دَلِيل ، فَقَدْ كَانَتْ هِيَ مِنْ دَلِيلِه .

مُحْكَمَةُ الفُصُولِ ، حَتَّى لَيْسَ فِيها عُرْوَةٌ مَفْصُولَةٌ ، مَحْذُوفَةُ الْفُضُولِ . حَتَّى لَيْسَ فِيهَا كَلِمَةٌ مَفْضُولَةٌ .

وَكَأَنَّمَا هِيَ فِي اخْتِصَارِهَا وَإِفَادَتِهَا ، نَبْضُ قَلْبٍ يَتَكَلَّم ، وَإِنَّمَا هِيَ فِي سُمُوِّهَا وَإِجَادَتِها ، مَظْهَرٌ مِنْ خَوَاطِرِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلم .

إِنْ خَرَجَتْ فِي الْمَوْعِظَةِ ، قُلْتَ : أَنِينٌ مِنْ فُؤَادٍ مَقْرُوح ، وَإِنْ رَاعَتْ بالحِكْمَةِ ، قُلْتَ : صُورَةٌ بَشَرِيَّةٌ مِنَ الرُّوح فِي مَنْزِعٍ[2] يَلِينُ فَيَنْفُرُ بالدمُوع ، وَيَشْتَدّ[3] ، فَيَنْزُو[4] بالدِّماء .

وَإِذَا أَرَاكَ الْقُرْآنُ أَنَّهُ خِطابُ السَّماءِ لِلْأَرْض ، أَرَاكَ هٰذَا أَنَّهُ كلامُ الأَرْض بِمَدَدِ السَّماء .

---

(١) أى تمتنع على من يحاول محا كاتها .

(٢) منزع — هنا — : أسلوب .

(٣) ينفر بها : يدفعها

(٤) ينزو : يثب .

(ب) الشعر

١ ــ الخشاب[1]

كتب على ظاهر ديوان صديق له من الشعراء يداعبه :

قُلْ للرَّئيس أبي الْحُسَيْنِ مُحَمَّد خِدْنِ الْمَعَالِي وَالسَّرِيِّ الْأَمْجَد[2]
وَالْحَاذِقِ الفَطِنِ اللَّبيبِ أَخِي الذَّكَا ءِ اللَّوْذَعِيِّ الْأَلْمَعِيِّ الْأَوْحَد[3]
أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ فِي الْقَرِيضِ مَذَاهِبًا ذَهَبَتْ بِشِعْرِكَ فِي الحَضِيضِ الْأَوْهَدِ[4]

***

كَدَّرْتَ مِنْهُ بِمَا صَنَعْتَ بُحُورَهُ فَغَدَتْ مَشَارِعَ لَيْسَ يَنْحُوهَا صَدِي[5]
فَإِذَا نَظَمْتَ فَكُنْ لِنَظْمِكَ نَاقِدًا نَقْدَ الْبَصِيرِ بِذِهْنِكَ الْمُتَوَقِّدِ
أَوْلَا فَدَعْ تَكْلِيفَ نَفْسِكَ وَاسْتَرِحْ مِنْ قَوْلِهِمْ مَا شِعْرُهُ بِالْجَيِّدِ
وَلَئِنْ عَنُفْتُ[6] عَلَيْكَ فِيمَا قُلْتُهُ فَلَقَدْ بَذَلْتُ النُّصْحَ لِلْمُسْتَرْشِدِ

---

(١) هو الأديب الشاعر الكاتب السيد إسماعيل الخشاب ، ظهر قبيل احتلال الفرنسيين مصر وامتدت به الحياة إلى أول عصر محمد على باشا الكبير وقد توفى سنة ١٢٣٠ هـ وله ديوان شعر مطبوع بالآستانة

(٢) الخدن بكسر الخاء وسكون الدال : الحبيب والصاحب ، والسرى : السيد الشريف السخى .

(٣) اللوذعى : الذكى الذهن . والألمعى : الذكى المتوقد الذكاء .

(٤) القريض : الشعر . والحضيض : القرار من الأرض عندأسفل الجبل ؛ والأوهد : العظيم الانخفاض والمراد أن شعره نزل إلى أسفل الدرك ، وقد صرف (مذاهب) لضرورة الشعر .

(٥) كدر الماء : أذهب صفاءه بالطين ونحوه . والمشارع جمع مشرع بفتح الميم وهو مورد الماء ، وينحوها يقصدها . والصدى بفتح الصاد وكسر الدال : الشديد العطش .

(٦) عنفت : قسوت ، والمسترشد : طالب الرشد والهداية .

وقال متغزلا :

يا شَقيقَ البَــــدْرِ نُورًا وَسَنَى وَأَخَا الغُصْنِ إِذَا مَا انْعَطَفَـــا[1]
بِأَبِي مِنْـكَ جَبِينًا مُشْرِقًا لَوْ بَدَا للنَّـــيِّرَيْنِ انْـكَسَفَا[2]
بُغْيَتِي مِنْكَ رُضَابٌ وَرِضًـــا وَعَلَى الدُّنيا وَمَنْ فيها العَفَـــا[3]

٢ ـــ الشيخ حسن العطار[4]

قال يتغزَّل :

أَعَنِ المُحبِّ ثَنَاكَ عَنْهُ وجيبُهُ ؟ أَمْ قَدْ دَعَاكَ إِلَى البِعادِ رَقيبُه ؟[5]
هَجَرَ الـكَرَى لمَّا هَجَرْتَ وَوَاصَلَتْ هُ شُجُونُهُ وَازْدَادَ فيكَ نَحِيبُـــه[6]
لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا في هَوَاكَ ، وَإِنَّمَـا قَدْ كَانَ بِالهِجْرَانِ مِنْكَ نَصِيبُهُ
أَفْقَرْتَهُ مِنْ حُسْنِ وَصْلِكَ بَعْدَ مَا جَادَتْ عَلَيْكَ دُمُوعُهُ وَنَسِـيبُهُ[7]
لَوْ لِلِّقَا عَطَفَتْكَ مِنْهُ شِـكَايَةٌ رَقَّتْ وَدَمْعٌ طَافِحٌ شُؤْبُوبُهُ[8]
لَرَأَيْتَ جِسْمًا كَالخِلَالِ مِنَ الضَّنَا وَلَهِيبَ قَلْبٍ مُقْلَتَاهُ تُذِيبُـــهُ[9]

---

(١) السنى : الرفعة أو الضوء . وانعطف : مال وانثنى .
(٢) بأبي : أفدى بأبي . والنيران : الشمس والقمر .
(٣) الرضاب (بضم الراء) : الريق المرشوف . والعفاء : الهلاك .
(٤) هو الشيخ الأكبر حسن بن محمد العطار ، كان من علماء الأزهر ، وزار أهم الممالك الإسلامية ، وصار بعد محررا للوقائع المصرية أول ظهورها . ثم صار شيخا للازهر الشريف . وكان على علمه شاعراً كاتباً بليغاً ؛ توفى سنة ١٢٥٠ هـ .
(٥) وجيبه : اضطرابه وخفقان قلبه .
(٦) الشجون جمع شجن بفتحتين : الهموم والأحزان . والنحيب : البكاء الشديد
(٧) النسيب : رقيق الشعر فى الغزل .
(٨) عطفتك : أمالتك إليه وحببتك . الشؤبوب بضم الشين : الدفعة من المطر وجمعه شآبيب .
(٩) الخلال : يريد بها الأعواد الدقيقة التى يتخلل بها . والضنا : الضعف والهزال .

صِلْهُ لِتَسْتَبْقِيَ بِهِ الرَّمَقَ الَّذِى ... لَوْلَا الْأَمَانِى مَا بَقِى مَوْهُوبُهُ[1]

أَلْزَمْتُ نَفْسِى الصَّبْرَ فِيكَ تَأَسِّيًا ... والصبْرُ أَصْعَبُ مَا يُقَادُ نَجِيبُهُ[2]

وَبُلِيتُ مِنكَ بِكُلِّ لَاحٍ لَوْ تَبَدْ ... دَى نَحْوَ طَوْدٍ أَثْقَلَتْهُ كُرُوبُهُ[3]

* * *

أَفَلا رَثَيْتَ لِعَاشِقٍ لَعِبَتْ بِهِ ... أَيْدِى المَنُون وَنَازَعَتْهُ خُطُوبُهُ[4]

أَنْتَ النَّعِيمُ لَهُ وَمِن عَجَبٍ تُعَذْ ... ذِبُهُ ، وَتُمْرِضُهُ وَأَنْتَ طَبِيبُهُ

وقال متغزلا :

أَنَا رَاضٍ مِنْكَ يَا كُلَّ المُنَى ... بالَّذِى تَهْوَى عَلَى حُكْمِ الغَرَامْ

لَستُ أَبْغِى من زَمَانِى حَاجَةً ... غَيْرَ أَنْ تَحْيَا سعيداً والسَّلَامْ

وقال يصف بِرْكَةَ الازْبكية :

بِالازْبَكيَّةِ طَابَتْ لِى مَسَرَّاتُ ... وَلَذَّ لِى فِى بَدِيعِ الْأُنْسِ أَوْقَاتُ

حَيْثُ المِيَاهُ بِهَا وَالْفُلْكُ سَابِحَةٌ ... كَأَنَّهَا لِبُدُورِ الْحُسْنِ هَالَاتُ[6]

---

(١) الرمق : بفتحتين بقية الحياة يقول : إنك وهبته بقية من الحياة فلا تقض عليها بالهجر ، بل أستبقها بالوصل .

(٢) التأسى : التصبر والتعزى . والنجيب : البعير الـكريم .

(٣) اللاحى : الشاتم العائب والطود بفتح الطاء وسكون الواو . الجبل العظيم . كروبه مصائبه الشديدة

(٤) رثى له : رق له وعطف عليه . المنون : الموت .

(٥) الفلك — بضم الفاء وسكون اللام : السفينة ولفظ جمعه كلفظ مفرده . والمراد بـ (الزهر) بضم الزاى : النجوم المشرقة .

(٦) الهالات : جمع هالة ، وهى الدائرة التى ترى حول القمر .

وَالماءِ حِينَ سَرَى رَطْبُ النسيم بِه ... وَحَلَّ فيه منَ الأَدْوَاحِ زَهْرَاتُ[١]
كَسَابِغَاتِ دُرُوعٍ فَوقَها نُقَطٌ ... منْ فِضَّةٍ، وَاحْمِرَارُ الْوَجْهِ طَعْنَاتُ[٢]

٣ — السيد على الدرويش

قال يرثى صديقه الشيخ على الغلبانى :

أَفِرُّ مِنَ الْمَحْتُومِ ، وَهْوَ مُطَارِدِى ... وَهَلْ أَملِى إِلَّا حبَالُ الْمَصَايِدِ[٤]
وَأَرْصُدُ أُفْقَ الْوَهْمِ وَالأَمَلُ الشَّهِى ... وَرَائِدُ مَوْتٍ كَامِنٌ فِى وَرَائِدِى[٥]
وَثِقْتُ بِآمَالِى ، وَلَمْ تَفِ مَرَّةً ... وَلَا ثِقَةٌ لى بِالنَّذِيرِ الْمُعاهد
فَأَسْتَبْعِدُ الْمَعلُومَ ، وَهْوَ مُقَارِبِى ... وَأَسْتَقْرِبُ المجهولَ ، وَهو مُبَاعِدِى
وَمِن عَتَهِى خِلْتُ التَّجَاهُرَ خَافِياً ... بِغش زُيُوفٍ عَدَّهَا كل نَاقِدِ[٦]
أُحَاذِرُ مَرْأَى النَّاسِ لَا اللهَ فِى الْهَوَى ... وَعِنْدَهُمُ تَفْصِيلُ نقصى وَزائِدِى
لِأَمَّارَتِى بِالسوءِ مُسْتَعْبَدٌ وَلِى ... مُدَاهَنَةٌ فِى الله ، صورةُ عَابِدِ[٧]
أُبالِغُ فى الإِسرافِ حتى كأننى ... لَمَيْتٌ غدًا ، لكنَّ لى حِرْصَ خَالِدِ

---

(١) الأدواح : جمع دوحة بفتح الدال ، وهى الشجرة العظيمة .

(٢) الدروع : جمع درع وهى القميص من زرد الحديد يلبسه المحارب يتقى به سلاح العدو . والدروع السابغات : الطويلة الضافية . والشاعر يشبه البركة وما يعلوها من الزبد والفقاقيع بالدرع الضافية ترصع بالفضة ، ويشبه الورد فيها بالدم من آثار الطعنات .

(٣) هو السيد على أفندى الدرويش بن حسن المصرى ، كان أديبا شاعراً ولوعاً فى شعره ونثره بالمحسنات البديعية للغاية القصوى وهو أبرع من علم فى التواريخ الشعرية ، وله ديوان شعر كبير . وتوفى سنة ١٢٧٠ هـ

(٤) المحتوم : الحادث الذى لامفر من وقوعه .

(٥) ورائد موتى : وطالب موتى . ورائد : جمع وريد . وهو عرق فى العنق .

(٦) عتهى : العته بفتحتين نقص العقل بلا جنون . زيوف . جمع زيف بفتح فسكون وهو الدرهم المغشوش . يقول : ومن نقص عقلى وقصور تفكيرى ظننت أن الجهر بالأمور الباطلة المغشوشة التى راج غشها على الناس أمر خاف على الله .

(٧) أمارتى بالسوء : نفسى . المداهنة فى الله : أن تظهر له خلاف ماتبطن . يقول : لأننى مستعبد لنفسى خاضع لميولها ولكنى أظهر خلاف ماأبطن نفاقا ومداهنة ، فأظهر بصورة العابد الطائع ، على حين أجارى نفسى وأخضع لها فى الخفاء .

٤ — الشيخ شهاب[١]

قال من قصيدته التى أنشأها لتكتب حول « جامع القلعة » :

عَرُوسُ كُنُوز قَدْ تَحلَّتْ بِمَسْجِدِ ... مُكَلَّلَةٌ تِيجَانُهَا بِالزَّبَرْجَد

أَم الْجَنَّةُ الْمَبْنِيُّ عالى قُصُورها ... بِأَبْهَجِ ياقُوت وَأَبْهَى زُمُرُّد

أَم الْمَكْرُمَاتُ الآصفِيَّةُ أَبْدَعَتْ ... هَيُولَى أَعَاجِيب بِصُورَة مَسْجِد[٢]

هُوَ الْفَلَكُ الْأَعْلَى تَنزَّلَ وَازْدَهَى ... بِزُهْر الدَّرَارى جَامِعاً كلَّ فَرْقَد

أَلا إنَّ تَجْدِيدَ الْعَجِيب مِنَ الْبِنَا ... يُؤَكِّد تأسيسَ اقْتِدَار الْمُجَدِّد

فَدَعْ قَصْرَ غُمْدَان وَأَهْرَام هُرْمُسٍ ... وَإِيوانَ كِسْرَى إنْ أَرَدْتَ لِتَهْتَدِى

وَدَعْ إرَماً ذَاتَ الْعِماد ونَحْوَها ... وَعَرْشاً لِبِلْقِيسٍ كَصَرْحٍ مُمَرَّد

وَدَعْ أُمَوِيَّ الشَّامِ وَأْنزِلْ بِمِصْرِنَا ... وَبَادِر إِلَى هَذَا بِإِيمَاءِ مُرْشِد[٣]

فَلَوْ عُدِّدَتْ فى الكَوْن بَدْءُ بَدائِعٍ ... لَكَانَ بِهِ خَتْمٌ لِذاكَ التَّعَدُّد

كأَنَّ اللَّيالِى الْوَالِدَات عجَائِباً ... أُصِبْنَ بِعُقْمٍ بَعْدَ هَذَا التَّوَلُّدِ[٤]

---

(١) هو شهاب الدين محمد بن إسماعيل المكي الأصل المصرى المنشأ . كان شاعراً متأدباً موسيقيا ، اشتغل فى الكتابة بالوقائع المصرية أول ظهورها مساعداً للشيخ حسن العطار ، ثم كان رئيسا لإنشائها بعد وفاته . وله ديوان شعر . ومن أجل مؤلفاته سفينته التى حفظت كثيرا مما كانت تتغنى به العامة فى عصره وقبيله . وتوفى سنة ١٢٧٥ هـ .

(٢) الآصفية : نسبة إلى آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام ، والهيولى عند القدماء . الطينة التى خلق منها العالم .

(٣) يريد بأموى الشام : جامع دمشق العظيم .

(٤) يقول كأن الليالى التى تلد العجائب أصيبت بعد بناء هذا الجامع بعقم ، فكان آخر مولود من عجائبها لروعته وإعجاز هندسته . وفى البيت إشارة لقول الشاعر القديم :

والليالى من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيبة

٥ — الشيخ ناصيف اليازجى[١]

قال فى الغَزَل :

حَوَاكَ وَقَدْ حَلَلْتَ بِكُلِّ قَلْبٍ ... فُؤَادٌ لَمْ يَحُلَّ بِهِ سِوَاكَا

نَزَلْتَ بِهِ عَلَى طَلَلٍ تَفَانَى ... وَلَسْتَ بِمَنْ عَلَى طَلَلٍ تَبَاكَى[٢]

أَطَعْتَ الْعَاذِلِينَ بِقَتْلِ صَبٍّ ... يُرِيدُ الْقَتْلَ لَكِنْ عَنْ رِضَاكَا

تَعِزُّ كَرَامَةً ، وَيَهُونُ ذُلًّا ... فَتَأْنَفُ أَنْ يَقُولَ : دَمِي فِدَاكَا

وقال :

كُفَّ عَنِّى لا أَبَا لَكْ ... قَدْ تَبَيَّنَّا مِحَالَكْ[٣]

قَدْ عَرَفْنَاكَ وَإِلَّا ... فَمَتَى نَعْرِفُ حَالَكْ

قَدْ مَضَى لِى بِكَ عَصْرٌ ... حَامِلاً فِيهِ مَلَالَكْ

حَسْبُ قَلْبِي مِنْكَ جَوْرٌ ... كَادَ مِنْهُ يَتَهَالَكْ

وَكَفَانَا مَا احْتَمَلْنَا ... مِنْكَ فَاسْتَدْعِ احْتِمَالَكْ

سَتَرَى النَّادِمَ مِنَّا ... وَيُسِيءُ اللهُ فَالَكْ

---

(١) هو ناصيف بن عبد الله اليازجي ، شاعر من كبار الأدباء والمنشئين ، له بحوث مختلفة فى فقه اللغة وله كتاب « مجمع البحرين » ، وهو مجموعة مقامات مثل مقامات الحريرى ، وكتب أخرى فى النحو ، وتوفى سنة ١٢٨٧ هـ .

(٢) الطلل : الشاخص من آثار منزل قديم . يقول : نزلت بقلبي على أثر بال من شدة الوجد والوله ، تفانى فيك غراما ، ولكنك لم تبك عليه ولم ترق له ، شأن الذين يشهدون الآثار البالية فيأسفون عليها .

(٣) المحال بكسر الميم الخديعة والكيد .

وقال من قصيدة يرثى بها صديقاً له :

قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ الْبُشْرَى برؤيته ... فَجَاءَنى غَيْرُ مَا قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ

إِنْ كَانَ قَدْ فَاتَ شَهْدُ الْوَصْلِ مِنْهُ فَقَدْ ... رَضِيتُ بِالصَّبْرِ لَكِن كَيْفَ أَصْطَبِرُ

أَحَبُّ شَىْءٍ لِعَيْنِى حِينَ أَذْكُرُهُ ... دَمْعٌ وَأَطْيَبُ شَىْءٍ عِنْدَهَا السَّهَرُ

هٰذَا الصَّدِيقُ الَّذِى كَانَتْ مَوَدَّتُهُ ... كَالْكَوْثَرِ الْعَذْبِ لَا يَغْتَالُهَا كَدَرُ(١)

لَا غَرْوَ إِنْ أَحْزَنَ الزَّوْرَاءَ مَصْرَعُهُ ... فَحُزْنُه فَوْقَ لُبْنَانٍ لَهُ قَدَرُ(٢)

وقال يرثى صديقاً آخر له :

الْمَوْتُ يَخْتَارُ النَّفِيسَ لِنَفْسِه ... مِنَّا كَمَا نَخْتَارُ نَحْنُ فَمَا اعْتَدَى

قَدْ نَالَ مِنَّا دُرَّةً مَكْنُونَةً ... كَانَتْ لِبَهْجَتِهَا الدَّرَارِى حُسَّدَا

كَنْزٌ ذَخَرْنَاهُ لَنَا فَاغْتَالَهُ ... لِصُّ الْمَنِيَّةِ خَاطِفًا مُتَمَرِّدَا(٣)

وقال يرثى طبيباً من أصدقائه :

قَدْ كَانَ فِى طِبِّهِ لِلنَّاسِ مَنْفَعَةٌ ... فَإِذْ أَتَى الْمَوْتُ ذَاكَ الطِّبُّ مَا نَفَعَا

وَكَانَ يُبْرِى مِنَ النَّاسِ الْجِرَاحَ فَهَلْ ... يُبْرِى جِرَاحَ فُؤَادٍ بَعْدَهُ انْصَدَعَا(٤)

صَارَتْ إِلَى اللّٰهِ تِلْكَ النَّفْسُ تَارِكَةً ... جِسْمًا يُرَى فِى تُرَابِ الْأَرْضِ مُضْطَجِعَا

كُلٌّ إِلَى أَصْلِه قَدْ عَادَ مُنْقَلِبًا ... فَانْحَطَّ هٰذَا وَهٰذَا طَارَ مُرْتَفِعَا(٥)

---

(١) يغتالها : يخالطها فيقضى عليها . (٢) الزوراء : مدينة حلب .

(٣) فاغتاله : فقتله خفية

(٤) انصدع : انشق . وهذا كناية عن شدة وقع المصيبة عليه .

(٥) يقول : قد رجع جسمه وروحه إلى أصلهما بعد موته ، فالروح ارتفع إلى الله فى السماء والجسم عاد إلى تراب الأرض الذى خلق منه فى الأصل .

٦ — السيد على أبو النصر(١)

قال يتحسر على فراق أحبابه :

لَقَدْ ذَهَبَ النَّوَى بِجَمِيلِ صَبْرِى	وَأَوْدَعَ فِي حُشَاشَتِيَ الوَلُوعَا(٢)
وَأَلْبَسَنِي الْأَسَى خِلَعَ التَّمَنِّى	وَأَلْزَمَنِي التَّذَلُّلَ وَالْخُضُوعَا(٣)
وَنَارُ الشَّوْقِ أَغْرَاهَا غَرَامِي	عَلَى كَبِدِي فَقَوَّمَتِ الضُّلُوعَا(٤)
وَلِي قَلْبٌ تُقَلِّبُهُ شُجُونِي	وَتَمْنَعُه السَّكِينَةَ وَالْهُجُوعَا(٥)
يَبِيتُ مَعَ الْأَحِبَّةِ حَيْثُ كَانُوا	وَيُصْبِحُ رَاجِياً مِنْهُمْ رُجُوعَا
يَرَى أَضْغَاثَ أَحْلَامِ الْأَمَانِي	حَقَائِقَ لَا يَزَالُ بِهَا وَلُوعَا(٦)
تَطُوفُ بِهِ الْحَوَادِثُ وَهْوَ لَاهٍ	كَأَنَّ الْوَهْمَ أَلْبَسَهُ دُرُوعَا
وَرُبَّ مُكَابِدٍ عَانَى خُطُوباً	وَمُفْرَدُ عَزْمِهِ عَزَّ الْجُمُوعَا(٧)
وَقَائِلَةٍ : إِلَامَ تَحِنُّ شَوْقاً	إِلَى حَيٍّ أَحَلَّ بِكَ الْهُلُوعَا(٨)

---

(١) هو الشريف العالم الشاعر الزجال ، أصله من منفلوط بأسيوط ، درس بالأزهر وبرع فى الأدب واتصل بالبيت الخديوى من عهد محمد على باشا الكبير إلى عهد توفيق باشا ويعد شعره متوسطا ، وله ولع بالتاريخ الشعرى ، وقد توفى سنة ١٢٩٨ هـ .

(٢) النوى : البعد والفرقة ، والحشاشة بضم الحاء : بقية الروح . والولوع بفتح الواو : شدة العشق

(٣) الأسى : الحزن والهم . خلع : جمع خلعة بكسر فسكون ، وهى الثوب الذى يعطى منحة .

(٤) يريد أن نار الشوق لشدتها جعلت أضلاعه مستقيمة بعد أن كانت منحنية .

(٥) الهجوع : النوم فى الليل .

(٦) أضغاث الأحلام : المختلطة الملتبسة . والولوع بفتح الواو : الشديد الولع ، وهو الحب .

(٧) عز الجموع : غلبها .

(٨) الحى : منازل القوم . والهلوع بضم الهاء . الجزع .

فَقُلْتُ لهاَ : وُقِيتِ الْبأسَ ؛ إنِّى أَوَدُّ بِحَيِّهِمْ أُدْعَى هَلُوعَا[١]

أَبعْدَ فِرَاقِهِمْ تَرْتَاحُ رُوحى وَتَرْجُو سَاعَةً أَنْ لاتَلُوعا[٢]

فَهُمْ رُوحى وَرَيْحَانِى وَرَاحى فكَيْفَ أَرَى إِلَى السَّلْوَى نُزُوعا؟[٣]

وقال رحمه الله :

نُورُ زَاهِى الرَّوْضِ أَمْ نُورُ الصَّبَاحْ وَابْتِسَامُ الثَّغْرِ أَمْ زَهْرُ الْأَقَاحْ

وَنجومٌ تزْدَهِى فى أُفْقِهَا بِوَمِيضِ الْبَرْقِ أَمْ كاساتُ رَاحْ

لا وَلا بَلْ بَدْرُ تَمٍّ يَنْجَلِى لِلنَّدَامَى فِى اغْتِبَاقٍ وَاصْطِبَاحْ[٤]

مُحَيَّا يَزْدَرِى شَمْسَ الضُّحَى فى مَعَانِى حُسْنِه تَعْيَا الْفِصاحْ[٥]

وقال رحمه الله متغزلا :

رِسَالَةٌ مِنْ كَلِف عَنِيد حياتُه فِى قَبْضَةِ الصُّدود[٦]

بَلَغَهُ الشَّوْقُ مَدَى الْمَجْهُود ما فَوْقَ ما يَلْقَاهُ مِن مَزِيدِ[٧]

وَاهاً عَلَيْه كَمْ بِهِ مِنْ وَجْدِ

---

(١) البأس : الشدة . الهلوع بفتح الهاء الشديد الجزع .

(٢) تلوع : تمسها حرقة الحزن .

(٣) الراح : الخمر ، ونزوعا : ميلا .

(٤) الندامى : جمع نديم ، وهم القوم يجتمعون للشراب . الاغتباق : الشرب بالعشى . والاصطباح : الشرب فى الصباح .

(٥) المحيا : الوجه . يزدرى : يحتقر . تعيا : تعجز

(٦) كلف : مشتاق .

(٧) مدى المجهود : نهاية الجهد ، يقول إن الشوق بلغ به غاية لا يستطيع احتماله بعدها :

جَارَ عليــه حاكِمُ الغَرَامِ فَدَقَّ أَنْ يُدْرَكَ بِالْأفهَـامِ[١]
فلو أَتَاهُ طَارِقُ الْحِمَـامِ لَمْ يَرَهُ مِنْ شِدَّةِ السَّقَامِ[٢]
إلا إذا صـدَّره فى الْبُرْدِ

***

له اهْتِزَازٌ وَارْتِيَـاحٌ وَطَرَبْ لوجه من أَوْرَثَه طول الـكُرَبِ[٣]
فَهل سمعتم فى الأحاديثِ العَجَبْ بعن مُناه قربُ مَن مِنْهُ العَطَبْ
ومن رأى الغَيَّ بديلَ الرُّشْد

***

مَا العُذْرُ فى السُّـلوِّ عَنْ غَزَالِ منقطع الْأَقْرَانِ وَالْأَشْكَالِ
تَسْتَخْلِفُ الشمْسُ لَدَى الزَّوَالِ ضِـيَاء خَـدَّيْهِ عَلَى اللَّيَالِي[٤]
فَصَارَ نُورُ البَدْرِ غَيْرَ مُجْدِي[٥]

وكتب إلى بعض أصحابه :

حُرُوفُ وُدِّى وَسَـائِلْ وَالدَّمْعُ جَارٍ وَسَـائِلْ[٦]
وَلَوْعَـتِى وَشُجُـونِى تَضِـيقُ عَنْهَا الرَّسَائِلْ[٧]

---

(١) الأفهام : العقول.
(٢) الحمام بكسر الحاء : الموت.
(٣) الـكرب بضم ففتح : المصائب التى تـكرب النفس.
(٤) نور خديه يخلف الشمس بعد المغيب فيطلع على الليالى ساطعا فينيرها.
(٥) غير مجد : غير نافع.
(٦) وسائل (الأولى) جمع وسيلة. أما الثانية فالواو حرف عطف و « سائل » اسم فاعل من : سال يسيل.
(٧) اللوعة : حرقة الهوى. والشجون : جمع شجن بفتحتين ، وهو الهم والحزن.

لِى فِى هَوَاكُمْ غَرَامٌ ـ طولَ المَدَى ـ غَيْرُ زَائِلْ
لَمَّا هَجَرْتُمْ وَبَانَتْ صَبَابَتِى لِلْعَوَاذِلْ[1]
دَخَلْت دَارَ اصْطِبَارِى خَرَجْتُ مِنْ غَيْرِ طَائِلْ[2]
فَقُلْتُ لِلْعَيْنِ : جُودِى بِالْمُرْسَلَاتِ الْهَوَامِلْ[3]
وَقَدْ أمَرْت يَرَاعِى تَخُطُّ مَا أَنَا قَائِلْ[4]
وَحُبُّكُمْ فى ضَمِيرِى سِوَاهُ زُورٌ وَبَاطِلْ
وَمَدْحُكُمْ ـ كُلَّ وَقْت ـ فَرَائِضٌ لَا نَوَافِلْ[5]
وَإِنْ سَأَلْتُمْ فَإِنِّى بِشُكْرِكُمْ لَا أُمَاطِلْ[6]
أَوَاخِرُ الشَّوْقِ عِنْدِى إِلَى لِقَاكُمْ أَوَائِلْ

---

(١) الصبابة : شدة العشق .

(٢) جعل للاصطبار داراً دخل فيها ثم خرج لم يستفد شيئاً .

(٣) المرسلات : أى الدموع المرسلات ، أى الجاريات . والهوامل : الفائضات بالدموع .

(٤) اليراع — فى الأصل — القصب ، والمزمار ينفخ فيه راعى الإبل أو الغنم ، ثم استعير للأقلام .

(٥) الفرائض : ما يجب على الإنسان القيام به حتما . والنوافل : ما يقوم به الإنسان طلباً للثواب وليس محتوما عليه فعله ، وأكثر ما تستعمل فى الصلاة .

(٦) أماطل : أتراخى وأسوف .

٧ – صفوت الساعاتى (١)

قال رحمه الله يرثى الأديب الشيخ حسن قويدر :

يَا شَمْسَ فَضْلٍ فَدَتْكَ الشُّهْبُ قَاطِبَةً ... إِذ عَنْكَ لَا أَنْجُمٌ تُغْنِى وَلَا شُهُبُ
لَمَّا أَصَابَكَ لَا قَوْسٌ وَلَا وَتَرٌ ... سَهْمُ الْمَنِيَّةِ كَادَ الْكَوْنُ يَنْقَلِبُ
مَا حِيلَةُ الْعَبْدِ وَالْأَقْدَارُ جَارِيَةٌ ... الْعُمْرُ يوهَبُ وَالْأَيَّامُ تُنْتَهَب
لَوْ افْتَدَتْكَ الْمَنَايَا عِنْدَ مَا فَتَكَتْ ... بِخَيْرِنَا لَفَدَتْكَ الْعُجْمُ وَالْعَرَبُ
سَقَى ضَرِيحَكَ غَيْثُ الْعَفْوِ مُنْسَكِباً ... وَلَا ارْتَوَتْ بَعْدَكَ الْأَغْصَانُ وَالْعَذَبُ (٢)
وَلَا اسْتَهَلَّتْ عيُونُ الْقَطْرِ بَاكِيَةً ... إِلَّا عَلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بِنَا النُّوَبُ (٣)
أَمسَتْ لِفَقْدِكَ عَيْنُ الْعِلْمِ سَائِلَةً ... تَرْجُو الشِّفَاءَ وَأَنَّى يَنْجَحُ الطَّلَبُ (٤)
بَكَتْ عَلَيْكَ السَّمَا وَالْأَرْضُ وَاضْطَرَبَتْ ... كَأَنَّمَا نَالَهَا مِنْ حُزْنِهَا طَرَبُ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ الْيَوْمِ أَنَّ لَدَى ... نِصْفِ النَّهَارِ ضِيَاءَ الشَّمْسِ يَحْتَجِبُ

(١) هو محمود صفوت بن مصطفى أغا ، شاعر مصرى ، ولد بالقاهرة وتعلم بها ، واتصل بشريف مكة فلازمه فى بعض وقائع وصفها فى شعره ، ثم استخدم فى المعية ثم فى مجلس أحكام الجيزة والقليوبية . واشتهر بالساعاتى لبراعته فى فن الساعات ، ولكن لم يحترفه ؛ وكان حلو الحديث حسن المحاضرة ؛ مات سنة ١٢٩٨ هـ .

(٢) الغيث : المطر . العذب بفتحتين : الأغصان أيضاً .

(٣) القطر بفتح القاف : المطر . والنوب بضم النون وفتح الواو : المصائب واحدتها نوبة .

(٤) فى هذا البيت استخدام ، فإن (سائلة) بمعنى فائضة بالدمع ، وفى قوله ترجو أعاد عليها الضمير بمعنى السؤال .

لَوْ كانَ يَدْرِي فؤَادِي يَوْم نَـكْبَتِهِ ... كانَ الْفِدَاءَ وَهٰذَا بَعْضُ مَا يَجِبُ

بالرَّغْم مِنِّي حَيَاتِي بَعْدَ مَصْرَعِهِ ... سِيَّانِ فُرْقَةُ مَنْ أَحْبَبْتُ وَالْعَطَبُ [1]

٨ — عبد الله باشا فكرى [2]

كتب إلى أحمد فارس الشِّدْياق ردًّا على قصيدة له :

تَفْدِيكَ نَفْسُ شَجٍ عَلِيلٍ آسِي ... عَـزَّ الدَّوَاءُ لَهُ وَحَارَ الآسِي [3]

أَضْنَاهُ طُولُ أَسَاهُ حَتَّىٰ إِنَّهُ ... يَحْـكِي لِفَرْطِ ضَنَاهُ ذَاوِي الآسِ [4]

هَزَّتْهُ سَارِيَةُ النَّسِيمِ ، وَقَدْ جَرَتْ ... بِشَذَا فَرُوقَ أَرِيجَةَ الْأَنْفَاسِ [5]

فَكَأَنَّ فِي طَيِّ الشَّمَالِ إِذَا انْثَنَىٰ ... مِنْ نَشْرِها طَرَبًا ، شَمُولَ الكَاسِ [6]

وَكَأَنَّهَا حَمَلَتْ إِلَيَّ رِسَالَةً ... غَرَّاءَ جَاءَتْ مِنْ أَغَرَّ مُوَاسِي [7]

كَمَلِيحَةٍ عَذْرَاءَ وَافَتْ صَبَّهَا ... مِنْ بَعْدِ طُولِ تَعَذُّرٍ وَشِمَاسِ [8]

يَفْتَرُّ مَبْسَمُهَا بِحُسْنِ حَدِيثِهَا ... عَنْ سِحْرِ فَاتِنِ جَفْنِهَا النَّعَّاسِ [9]

---

(١) بعد مصرعه : بعد موته . العطب : الهلاك .

(٢) هو الكاتب الشاعر المترجم عبد الله باشا فكرى بن محمد أفندى بليغ ، ولد بمكة ودرس بالأزهر ، وأجاد التركية والعربية ؛ وقد ترقى فى المناصب حتى وصل إلى معية المغفور له سعيد باشا فإسماعيل باشا ؛ وكان يكتب عنهما مكاتبات كانت تعد نموذجاً متبعاً فى المكاتبات الديوانية ، وكان كاتباً بليغاً يتأثر البديع والخوارزمى بالتزام السجع القصير والمحسنات البديعية . وقد توفى سنة ١٣٠٧ هـ .

(٣) الشجى : المهموم ، الحزين . والآسى كذلك . عز الشىء : ندر وصعب الحصول عليه . الآسى الطبيب .

(٤) أضناه : أسقمه وأهزله . أساه : حزنه . ذاوى : ذابل . الآس : نوع من الزهر .

(٥) الشذا : قوة طيب الرائحة . فروق بفتح الفاء : من أسماء القسطنطينية ؛ وأريجة : طيبة الريح .

(٦) الشمال : يريد بها ريح الشمال . والشمول بفتح الشين : من أسماء الخمر .

(٧) الغراء : الحسناء . والأغر : السيد الشريف . والمواسى : المساعد المعاون .

(٨) صبها : عاشقها . والتعذر : التمنع . والشماس بكسر الشين : النفور والإباء .

(٩) يفتر : ينكشف . والمبسم : الفم . والنعاس : الشديد الفتور .

تَدْنُو فَيُطْمِعُ عاشقِيها أُنْسُهَا ... وَيُشِـيرُ عِزُّ دَلَالِهَا بِإِيَاسِ[١]

أَوْ رَوْضَـةٍ فَيْحَاءَ حَيَّاهَا الْحَيَا ... مِنْ صَوْبِ مَحْلُولِ الْعُرَى رَجَّاسِ[٢]

وقال يتغزل :

كَتَبْتُ وَلَوْلَا دَمْعُ عَيْنِيَ سَائِلٌ ... تَلَظَّى جَوَابِي من تَلَهُّبِ أَنفَاسِي[٣]

وَعِنْدِي منَ الْأَشْوَاقِ مَا لَمْ يَبُحْ بِهِ ... لِسَانُ يَرَاعٍ فِي مَسَامِعِ قرطَاسِ[٤]

وَلِي مِنْ تبَارِيحِ الهَوى وَشُجُونِهِ ... أَحادِيثُ تُلْهِي الشَّرْبَ عَنْ لَذَّةِ الكاسِ[٥]

وَلَوْ كُنْتُ مِنْ دَهْرِي أَنَالُ مآرِبِي ... لَسِرْتُ لَكُمْ سَعْياً عَلَى الْعَيْنِ وَالرَّاسِ

وكتب إلى السيد عبد الهادى الأبيارى يعتذر عن عدم إجابة دعوة لم تصل إليه :

يَا مَنْ بَدِيعُ حُلَاهُ ... تُزْرِى الْبَدِيعَ وَتُنْسِي[٦]

وَافَتْ عَقِيـلَةُ نَظْمٍ ... تَتْـلُو فَصَاحَةَ قُسٍّ[٧]

كَالْبَـدْرِ لَاحَ سَنَاهُ ... مِنْ بَعْدِ مَغْرِبِ شَمْسِ

فَغَادَرَتْنِي صَرِيعـاً ... نَشْوَانَ مِنْ غَيْرِ كَأْسِ

---

(١) الإياس : اليأس . أى ييأس من أن تواصلهم .

(٢) الحيا : المطر . ويريد بمحلول العرى : المطر الغزير الذى لا يحجبه شىء . والرجاس : الشديد الصوت .

(٣) تلظى : التهب واحترق . ويريد بالجواب الصحيفة التى ضمنها خطابه .

(٤) اليراع : يريد القلم . والقرطاس : الصحيفة التى يكتب فيها .

(٥) تباريح الهوى : حرقته . والشجون جمع شجن بفتح الشين والجيم : وهو الهم والحزن . والشرب بفتح الشين : الشاربون .

(٦) البديع فى الشطر الثاني هو بديع الزمان الهمذانى صاحب المقامات المشهورة والأسلوب المسجع ، من كتاب القرن الرابع الهجرى .

(٧) قس بن ساعدة الإيادى الخطيب الجاهلى .

فَمَنَّ بالعَفْوِ إنِّي ... مِنْهُ عَلَى غَيْرِ يَأسِ
وَإنْ عَتَبْتَ فَحَقٌّ ... وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي

٩ — الشيخ على الليثى[1]

قال يرثى محمود باشا الفلكى وقد صادف أن تهاوت نيازك ليلة وفاته :

أَرَى النَّيَازِكَ عَنْ سَامٍ مِنَ الْفَلَكِ ... مَذْعُورَةً أَصْبَحَتْ تَصْبُو إلى الدَّرَكِ[2]
كَالطَّيْرِ فَاجَأَهَا الْبَازِى وَأَذْهَلَهَا ... فَحَاكَتِ الْبَرْقَ وَانْقَضَّتْ عَنِ الْحُبُكِ[3]
نَعَتْ إلَيْنَا الرَّئِيسَ الْجِهبذِيَّ ، وَقَدْ ... قَالَتْ تَعَزَّوْا فَمَا حَيٌّ بِمُتَّرَكِ[4]
يا نَفْسُ هٰذَا مُصَابٌ قَدْ أَصَابَ فَمَا ... أَبْقَى فُؤَادَ صَبُورٍ غَيْرَ مُرْتَبِكِ
أَلَيْسَ نَسْرُ سَمَاءِ الْعِلْمِ قَدْ عَلِقَتْ ... كَفُّ الْمَنُونِ بِهِ فَانْحَازَ فِى الشَّرَكِ[5]
الصَّبْرَ يَا نَفْسُ ، وَاسْتَبْقِى مَنَاحَةً ... أَوْ فَالتَّصَبُّرَ إنْ تَبْغِى الْهُدَى فَلَكِ[6]
حَلَّ الْقَضَاءُ وَنَاعِى الْمَجْدِ أَرَّخَنَا ... قَدْ مَاتَ مَحْمُودُ بَاشَا الْمُسْنَدُ الْفَلَكِى

١٣٠٣ ... ١٧١ ١٨٥ ٣٠٤ ٩٨ ٤٤ ١٠٤

---

(١) هو الشاعر الكاتب المحاضر المقادر ، شاعر الخديو إسماعيل باشا فتوفيق باشا . ظهر بالشعر والأدب وصار فى معية إسماعيل باشا ؛ ولما خلفه توفيق أبقى عليه فأخلص له الشيخ ، وخاصة أيام الثورة ، وشعره متوسط ؛ وتوفى سنة ١٣١٣ ﻫ .

(٢) النيازك : جمع نيزك بفتح النون : شعلة ترى على شكل الرمح ، وهو من الشهب المتساقطة ؛ والدرك : أسفل السفل .

(٣) البازى : نوع من الصقور . ويريد بالحبك السماء .

(٤) الجهبذ : الناقد العارف بتمييز الجيد من الردىء ؛ ومترك بتشديد التاء وفتح الراء : متروك

(٥) علقت به : تعلقت . والمنون : الموت . والشرك : حبائل الصائد .

(٦) المناح : يريد بها جمع مناحة ، وهى موضع البكاء على الميت ، والمراد بها هنا البكاء نفسه .

وقال فى عقب الثورة العرابية (من قصيدة طويلة) :

كُلُّ حَالٍ لِضِدِّهِ يَتَحَـــوَّلْ ... فَالْزَمِ الصَّبْرَ إِذْ عَلَيْهِ الْمُعَوَّلْ(١)

يَا فُؤَادِى استَرِحْ فَمَا الشَّأْنُ إِلا ... مَا بِهِ مَظْهَـــرُ الْقَضَاءِ تَنَزَّلْ

رُبَّ سَاعٍ لِحَتْفِهِ وَهْوَ مِمَّنْ ... ظَنَّ بِالسَّعْى لِلْعُــــلاَ يَتَوَصَّلْ(٢)

قَدَرٌ غَالِبٌ وَسِرُّ الْخَفَايَا ... فَوْقَ عَقْلِ الْأَرِيبِ مَهْمَا تَكَمَّلْ

غَايَةُ الْعَقْـــلِ حَسْرَةٌ وَعِقَالٌ ... وَاللَّبِيبُ الذَّكِىُّ مَنْ قَدْ تَأَمَّلْ

كَيْفَ نَنْسَىٰ وَحَادِثَاتُ اللَّيَالِى ... فَاجَأَتْنَا بِكَارِثٍ لَيْسَ يُحْمَــلْ

أَذْهَبَتْ أَنْفُسًا وَغَالَتْ نَفِيسًا ... وَذَوَى مَرْبَعُ الْحُظُوظِ وَأَمْحَــلْ(٣)

وَإِذَا الْمَرْءُ كَانَ بِالْوَهْمِ يَبْـــنِى ... فَخَيَالُ الظُّنُونِ مَا قَدْ تَمَثَّلْ

وَيْحَ قَوْمٍ سَعَوْا لِإِدْرَاكِ أَمْرٍ ... دُونَ إِدْرَاكِهِ الْجِبَالُ تُزَلْزَلْ

مَا أَصَرُّوا عَلَيْـــهِ إِلَّا أَضَرُّوا ... بِأُنَاسٍ مِنْ نَابِهٍ أَوْ مُغَفَّلْ(٤)

ذَاكَ يَسْعَى عَلَى التَّقِيَّةِ خَوْفًا ... وَسِوَاهُ يَسْعَى لِكَيْمَا يُجَمَّلْ

لَوْ أَصَابُوا الرَّشَادَ عِنْدَ ابْتِدَاءٍ ... كَانَتِ الْغَايَةُ الْجَمِيـــلَةُ أَمْثَلْ

---

(١) عليه المعول : عليه المعتمد فى الشدة .

(٢) الحتف : الهلاك .

(٣) أمحل : أجدب . يريد أن حادثات الثورة أضاعت الأرواح والنفائس من مال ومتاع ، وأصبحت الحظوظ لا يرجى منها خير ولا أمل .

(٤) أصروا عليه : عزموا وثبتوا على عزمهم .

(٥) التقية : التقى : وهو الخشية والحذر .

وقال يصف السفينة وهو عائد من براين :

أَصْبَحَ الْوَقْتُ بَاسِماً بِالسُّرُورِ ... كَابْتِسَامِ الرَّبِيعِ وَقْتَ الزُّهُورِ

أَيْنَ أَلْقَى ظَرِيفَ طَبْعٍ لَطِيفاً ... كَيْ نُدِيرَ الْحَدِيثَ مِثْلَ الْخُمُورِ

فَوْقَ ظَهْرِ السَّفِينِ نُحْسِنُ وَصْفاً ... حَيْثُ يَجْرِى عَلَى صَفَاءِ الْبُحُورِ

وَتَرَاهُ يَخْتَالُ وَهُوَ مُعَنًّى ... وَيْحَهُ كَمْ يَجُرُّ ذَيْلَ الْفَخُورِ (١)

ذَيْلُهُ يَرْسُمُ الْمَجَرَّةَ عُجْباً ... بَيْنَ مَوْجٍ يُضِيءُ مِثْلَ الْبُدُورِ (٢)

١٠ — السيد عبد الله نديم (٣)

قال يتغزل :

سَلُوهُ عَنِ الْأَرْوَاحِ فَهْيَ مَلَاعِبُهْ ... وَكُفُّوا إِذَا سَلَّ الْمُهَنَّدَ حَاجِبُهْ

وَعُودُوا إِذَا نَامَتْ أَرَاقِمُ شَعْرِهِ ... وَوَلُّوا إِذَا دَبَّتْ إِلَيْكُمْ عَقَارِبُهْ (٤)

وَلَا تَذْكُرُوا الْأَشْبَاحَ ؛ بِاللهِ ؛ عِنْدَهُ ... فَلَوْ أَتْلَفَ الْأَرْوَاحَ مَنْ ذَا يُطَالِبُهْ

أَرَاهُ بِعَيْنِي وَالدُّمُوعُ تُكَاتِبُهْ ... وَيُحْجَبُ عَنِّي وَالْفُؤَادُ يُرَاقِبُهْ

---

(١) المعنى بضم الميم وفتح العين وتشديد النون المفتوحة : المتعب المكدود . وويحه : رحمة له . والفخور بفتح الفاء : الكثير التفاخر .

(٢) المجرة بفتح الميم وتشديد الراء المفتوحة : نجوم كثيرة لا يميزها البصر ، بل يراها كبقعة بيضاء .

(٣) يعد السيد عبد الله نديم فى مقدمة الخطباء العرابيين ، وكان لا يجارى فى سرعة البديهة وشدة التأثير فى سامعيه بالعامية وغيرها ، ويعد متأثراً بجمال الدين الأفغانى كالشيخ محمد عبده ، وله مع ذلك شعر ونثر جيدان . توفى بالقسطنطينية سنة ١٨٩٦ م .

(٤) الأراقم : أخبث الحيات ، واحدها أرقم ، والعقارب هنا شعر الأصداغ ، شبه بها لانعطافه كأذنابها على العين .

فَهَلْ حَاجَةٌ تُدْنِي الْحَبِيبَ لِصَبِّهِ ... سِوَى زَفْرَةٍ تَثْنِي الْحَشَا وَتُجَاذِبُهْ ؟

فَلَا أَنَا مِمَّنْ يَتَّقِيهِ حَبِيبُهُ ... وَلَا أَنَا مِمَّنْ بِالصُّدُودِ يُعَاتِبُهْ

فَلَوْ أَنَّ طَرْفِي أَرْسَلَ الدَّمْعَ مَرَّةً ... سَفِيرًا لِقَلْبِي مَا تَوَالَتْ كَتَائِبُهْ[1]

١١ — الشيخ نجيب الحداد[2]

وقال الشيخ نجيب الحداد يمدح مصر والمصريين :

يَا أَرْضَ مِصْرَ تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ ... وَسَقَاكِ مِنْ صَوْبِ الْغَمَامِ رُكَامُ[3]

بَلْ أَنْتِ غَانِيَةٌ عَنِ الْمَطَرِ الَّذِي ... يَهْمِي ، فَإِنَّ النِّيلَ فِيكِ غَمَامُ[4]

نَهْرٌ تَبَارَكَ مَاؤُهُ ، فَتَكَادُ أَنْ ... تَمْحَى بِطُهْرِ مِيَاهِهِ الآثَامُ[5]

وَيَكَادُ لَوْ رَشَفَ الْعَلِيلُ زُلَالَهُ ... يَشْفَى الْعَلِيلُ وَتَذْهَبُ الأَسْقَامُ[6]

يُحْيِي الْبِلَادَ بِمَائِهِ ، فَكَأَنَّهُ الـ ... رُّوحُ الَّتِي تَحْيَا بِهَا الأَجْسَامُ[7]

---

(١) الكتائب : جمع كتيبة بفتح الكاف ، وهى القطعة من الجيش .

(٢) نشأ الشيخ نجيب الحداد نشأة أدبية ، فصار شاعراً رقيقاً وكاتباً بليغاً له روايات شتى تأليفا وترجمة . توفى سنة ١٨٩٩ م .

(٣) وسقاك : الخبر هنا للدعاء ، فهو يتمنى لأرض مصر الرى والسقيا من الغمام . صوب الغمام : نزوله ، والغمام : السحاب والركام (بضم الراء) : المتراكم بعضه فوق بعض .

(٤) الغانية : الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة ، أو ذات المال الذى تستغنى به عن الغير . والمراد هنا أنها غنيت بوفر مائها الذى يتدفق من النيل عن المطر . ويهمى : يسقط غزيراً .

(٥) تبارك ماؤه : خصه الله بالبركة والخير . تمحى : تزال . الآثام : الذنوب .

(٦) رشف : امتص الماء بشفتيه قليلا قليلا . والعليل : المريض . والماء الزلال (بضم الزاى) : العذب الصافى .

(٧) يحيى البلاد : يبعث الحياة فى أهلها وزرعها وطيرها وسائمتها بفضل مائه الذى لا ينقطع . والروح : سر الحياة فى الجسم . يريد أن النيل روح مصر وسر حياتها ، ولولاه لأصبحت صحراء يابسة .

إنْ شَابَهُ كَدَرٌ فَفِى أكْدَارِهِ ... صَفْوٌ وَفِى فَيَضَانِهِ إنْعَامُ[١]

أرْضٌ إذا لَمْ يَعْلُ فِى أرْجَائِها ... عَلَمٌ فَإنَّ كِرامَهَا أعْلَامُ[٢]

لَبِسَتْ منَ الْمَجْدِ التَّلِيد مَطَارِفاً ... وَلَهَا من الْمَجْدِ الطَّرِيف وِسَامُ[٣]

وتعانقتْ وَالْفَخْرَ منْ قِدَمٍ كَمَا ... قَدْ عَانقَتْ أَلِفَ الْكِتَابَة لَامُ[٤]

مَجْدٌ بِهِ هَرِمَ الزَّمَانُ وَلَمْ يَزَلْ ... غَضًّا وَقَدْ شَهِدَتْ بِهِ الْأَهْرَامُ[٥]

هَرَمَان زَانَا صَدْرَ مِصْرَ فَأَشْبَهَا ... نَهْدَيْنِ زَانَهُمَا سَنًى وَتَمَامُ[٦]

نَهْدَان كَانَ الدَّهْرُ يَرْضَعُ مِنْهُمَا ... إنَّ الزَّمَانَ لِمَجْدِ مِصْرَ غُلَامُ[٧]

أَرْضُ الْفَرَاعِنَة الَّذِينَ بَنَوْا لَهَا ... فى الدَّهْرِ مَا لَا تَبْلغُ الْأَوْهَامُ

بُنْيَانُ عِزٍّ فِى السُّطُورِ مُخَلَّدٌ ... وَبِنَاءُ مَجْدٍ فى الصُّخُورِ يُقَامُ

---

(١) شابه : خالطه . ويريد بأكداره ما يحمله من الغرين (الطمى) إبان الفيضان ، فإن فيه زيادة فى خصب الأرض ونمائها : وهذا ما عبر عنه بالصفو ليقابل به الأكدار . إنعام : أى وفى فيضانه نعمة وخير للوطن .

(٢) العلم بفتحتين : الجبل الطويل . والأعلام : جمع علم بفتحتين وهو سيد القوم . يريد أن مصر إذا خلت أرضها من الجبال الضخمة العظيمة فإن فيها السادة العظماء من رجالها .

(٣) التليد : القديم . المطارف : جمع مطرف بكسر الميم وفتح الراء ، وهو الثوب من الحرير . والطريف : الجديد . والوسام شارة الفخر . وقد صرف (مطارف) لضرورة الشعر .

(٤) يريد أن الفخر لازمها من قديم الزمان لما فاض به تاريخها من حضارة سبقت بها الأمم .

(٥) هرم : شاب وكبرت سنه . غضاً : ناضراً . والمراد أن مجد مصر مرت عليه الأزمان الطويلة فأهرمها وهو ما زال فى عنفوان شبابه ونضرته .

(٦) النهد (بفتح النون) : الثدى وجمعه نهود . والسنى (بفتح السين والنون) : الضوء . والتمام (بتثليث التاء) : الكمال .

(٧) يقول إن هرمى مصر كانا فى العصور الغابرة بمثابة نهدين يرضع منهما الزمن . يكنى بذلك عما كانت عليه مصر من حضارة وعظمة فى الوقت الذى كان فيه العالم كالطفل لجهالته وتأخره .

لَا بِدْعَ إِنْ بَقِيَتْ مَآثِرُهُمْ فَقَدْ بَقِيَتْ جُسُومُهُمْ وَهُنَّ رِمَامُ[1]

١٢ — مصطفى بك نجيب[2]

قال يشكر بعض الأدباء على ساعة أهداها إليه :

مَتَّعَنَا أَخٌ كَرِيمٌ حَسَبَا وَحَاتِمِىٌّ مَحْتِداً وَنَسَبَا[3]

بِسَاعَةٍ مِنْ خَيْرِ مَا قَدْ جَلَبَا مَا إِنْ رَأَتْ عَيْنٌ لَهَا مُضْطَرَبَا[4]

تَمْشِى مَعَ الزَّمَانِ سَيْرًا عَجَبَا لَا تُخْطِئُ الْوَقْتَ وَلَوْ تَذَبْذَبَا[5]

كَأَنَّ بِالنَّجْمِ لَهَا مُنْتَسَبَا وَبِذُكَاءَ لُحْمَةً وَنَسَبَا[6]

حَتَّى إِذَا وَقْتُ الزَّوَالِ وَجَبَا وَرَامَتِ الشَّمْسُ لَهَا مُنْقَلَبَا[7]

رَأَيْتَ فِيهَا الْعَقْرَبَيْنِ عَقْرَبَا

---

(١) لا بدع : لا غرابة ولا عجب . رمام : جمع رمة بكسر الراء وتشديد الميم المفتوحة وهى الجسم البالى . يقول لا غرابة فى بقاء آثارهم من أهرامات ومعابد ، فهذه جسومهم وهى رهن البلى ، ما زالت باقية لم تندثر بفضل نبوغهم وتقدمهم فى فن التحنيط .

(٢) هو ابن محمد نجيب ، أديب إدارى ، وكاتب شاعر مقل ، صاحب كتاب (حماة الإسلام) ؛ ومقالات (أحلام الأحلام) ؛ توفى سنة ١٣٢٠ هـ .

(٣) حاتمى : نسبة إلى (حاتم الطائى) الذى ضرب به المثل فى الكرم ، وهو من أجواد العرب . والمحتد : الأصل .

(٤) مضطربا : تقدماً أو تأخراً عن السير الطبيعى للزمن .

(٥) تذبذب : اضطرب وخرج عن حركته الطبيعية فى السير .

(٦) ذكاء (بضم الذال) : الشمس ، ولحمة (بضم اللام) : قرابة .

(٧) وقت الزوال : هو الوقت الذى يزول فيه الظل حين تصل الشمس إلى كبد السماء ، أى فى الساعة الثانية عشر تماما .

وكتب على يد مروحة :

إذَا يَــدٌ لَعِبَتْ بِي قابَلْتُهَــا بِهَــوَاهَا
مَزَجْتُ لُطْفَ نَسِيمِي بِلُطْفِ رَيَّا مُنَاهَا[1]
فَزَادَهَا الرِّيحِ وَجْدًا وَزَادَهَا الْوَجْدُ آهَا[2]
جَاءَتْ لِتَــبْرُدَ شَوْقًا فَزِدْتُ مِنْهَا جَوَاهَا[3]

١٣ ـ محمود باشا سامى البارودى[4]

قال فى الفخر وهو من قصيدة طويلة :

سِوَايَ بِتَحْنَانِ الأَغَارِيدِ يَطْرَبُ وَغَيْرِي بِاللَّذَّاتِ يَلْهُو وَيُعْجَبُ[5]
وَمَا أَنَا مِمَّــنْ تَأْسِرُ الْخَمْرُ لُبَّــهُ وَيَمْلِكُ سَمْعَيْهِ الْيَرَاعُ الْمُثَقَّبُ[6]
ولَــكِنْ أَخُو هَمٍّ إِذَا مَا تَرَجَّحتْ بِهِ سَوْرَةٌ نَحْوَ الْعُلَا رَاحَ يَدْأَبُ[7]

---

(١) الريا : (بفتح الراء وتشديد الياء) الريح الطيبة ، كأنما رويت من الطيب والعطور فى مسراها مؤنث ريان . والمنى : جمع منية بضم الميم وتسكين النون ، وهى ما تتمناه النفس من خير .

(٢) وجداً : صبابة وشوقاً . وآها : تأوها من فرط الحنين .

(٣) لتبرد لتلتمس برداً من شدة حرارتها . والجوى شدة الوجد .

(٤) هو محمود سامى باشا بن حسن حسنى بك البارودى . أحد زعماء الثورة العرابية ؛ ولد سنة ١٢٥٦ هـ . وتعلم بالمدرسة الحربية ، وترقى فى مناصب الجيش وغيرها حتى رأس النظار قبيل الثورة العرابية ، ونفى بعدها إلى سرانديب ، ثم عاد إلى مصر ، وبها مات سنة ١٣٢٢ هـ . والبارودى عصامى فى نشأته الأدبية الشاعرة ، يعد شعره صورة مقاربة للفحول السابقين : جزل الأسلوب ضخم المعانى ، متنوع الفنون له ديوان ومختارات .

(٥) التحنان بفتح التاء : الحنين . والأغاريد : جمع أغرودة بضم الهمزة ، غناء الطائر . ويعجب بالشىء بالبناء للمجهول : يسر منه .

(٦) يريد بسمعيه أذنيه . واليراع : القصب الذى يزمر به الراعى ، واحدته يراعة . والمثقب : ذو الثقوب التى تعين النافخ على الصفير ، وتنوع الألحان .

(٧) الهم — هنا : الهمة . وترجحت به : مالت به ، ويريد بالسورة النزعة القوية .

نَفَى النَّوْمَ عَنْ عَيْنَيْهِ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ ... لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَطْلَبُ[١]

وَمَنْ تَكُنِ الْعَلْيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ ... فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبُ

إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا ... فَلَا عَزَّنِي خَالٌ وَلَا ضَمَّنِي أَبُ

***

خُلِقْتُ عَيُوفًا لَا أَرَى لِابْنِ حُرَّةٍ ... عَلَيَّ يَدًا أُغْضِي لَهَا حِينَ يَغْضَبُ[٢]

فَلَسْتُ لِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ مُتَوَقِّعًا ... وَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ مَضَى أَتَعَتَّبُ[٣]

أَسِيرُ عَلَى نَهْجٍ يَرَى النَّاسُ غَيْرَهُ ... لِكُلِّ امْرِئٍ فِيمَا يُحَاوِلُ مَذْهَبُ[٤]

وَإِنِّي إِذَا مَا الشَّكُّ أَظْلَمَ لَيْلُهُ ... وَأَمْسَتْ بِهِ الْأَحْلَامُ حَيْرَى تَشَعَّبُ[٥]

صَدَعْتُ حِفَافَيْ طُرَّتَيْهِ بِكَوْكَبٍ ... مِنَ الرَّأْيِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ الْمُغَيَّبُ[٦]

وقال يتشوق وهو فى المنفى :

رُدُّوا عَلَيَّ الصِّبَا مِنْ عَصْرِيَ الْخَالِي ... وَهَلْ يَعُودُ سَوَادُ اللِّمَّةِ الْبَالِي[٧]

لَمْ يَدْرِ مَنْ بَاتَ مَسْرُورًا بِلَذَّتِهِ ... أَنِّي بِنَارِ الْأَسَى مِنْ هَجْرِهِ صَالِي[٨]

---

(١) الأسنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح .

(٢) العيوف بفتح العين : الشديد الأنفة . واليد : النعمة . أغضى لها : أطبق جفنى ذلا وندما .

(٣) أتعتب : أغضب .

(٤) المذهب : الطريقة .

(٥) الأحلام : العقول . وتتشعب أى تختلف وتتفرق .

(٦) حفافا الشيء : جانباه . الطرة : الناصية ، يقول إنه إذا أشكل الأمر وتحيرت فيه العقول أناره رأى كالكوكب فى وضوحه وإشراقه .

(٧) اللمة بكسر اللام وتشديد الميم : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، هو يريد شعر الرأس على الإطلاق ، ويريد بالبالى الذى تغير لونه فبيضه المشيب .

(٨) الأسى : الحزن . يصلى النار من باب علم ، وصلى بها فهو صال : قاسى حرها أو احترق بها .

يا غَاضِبِينَ عَلَيْنَا هَلْ إِلَى عِدَةٍ   بِالْوَصْلِ يَوْمٌ أُنَاغِي فِيهِ إِقْبَالِي (١)

غِبْتُمْ فَأَظْلَمَ يَوْمِي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ   وَسَاءَ صُنْعُ اللَّيَالِي بَعْدَ إِجْمَالِ (٢)

فَالْيَوْمَ لَا رَسَنِي طَوْعُ الْقِيَادِ وَلَا   قَلْبِي إِلَى زَهْرَةِ الدُّنْيَا بِمَيَّالِ (٣)

أَبِيتُ مُنْفَرِدًا فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ   مِثْلَ الْقَطَامِيِّ فَوْقَ الْمَرْبَإِ الْعَالِي (٤)

وقال يرثى أباه لما ناهز العشرين :

لَا فَارِسَ الْيَوْمَ يَحْمِي سَرْحَةَ الْوَادِي   طَاحَ الرَّدَى بِشِهَابِ الْحَرْبِ وَالنَّادِي (٥)

مَاتَ الَّذِي تَرْهَبُ الْأَقْرَانُ صَوْلَتَهُ   وَيَتَّقِي بَأْسَهُ الضِّرْغَامَةُ الْعَادِي (٦)

مَضَى وَخَلَّفَنِي فِي سِنٍّ سَابِعَةٍ   لَا يَرْهَبُ الْخَصْمُ إِبْرَاقِي وَإِرْعَادِي (٧)

فَإِنْ أَكُنْ عِشْتُ فَرْدًا بَيْنَ آصِرَتِي   فَهَأَنَا الْيَوْمَ فَرْدٌ بَيْنَ أَنْدَادِي (٨)

---

(١) العدة بكسر العين وفتح الدال : الوعد . وناغى الصبي : كلمه بما يعجبه ويسره .

(٢) الإجمال : الإحسان .

(٣) الرسن بفتحتين : الحبل الذى تقاد به الدابة .

(٤) يريد بالشاهقة الجبل المرتفع . والقطامى بفتح القاف وضمها : الصقر . والمربأ : المكان الذى يقف فيه من يرقب .

(٥) السرحة بفتح السين : الشجرة العظيمة يستظل فيها . والمراد : يحمي حرمه . وطاح به : أهلكه والردى بفتح الدال : الموت . والشهاب : الكوكب ، يريد أنه كان كالكوكب فى انقضاضه على محاربيه ، كما كان فى مجتمع القوم زينتهم كالكوكب أيضا فى تألقه .

(٦) الأقران : جمع قرن بكسر القاف ، وهو المناظر فى الشجاعة وغيرها . صولته : سطوته وبطشه فى النضال . والضرغامة : الأسد . والعادى : الصائل .

(٧) إبراق وإرعادى : تهديدى ووعيدى .

(٨) يريد بآصرته : أهل قرابته ومودته .

ومن قصيدة له يرثى بها زوجته ، وقد ماتت فى مصر وهو لا يزال فى مَنفاه :

لَا لَوْعَتِي تَدَعُ الْفُؤَادَ ، وَلَا يَدِي ... تَقْوَى عَلَى رَدِّ الْحَبِيبِ الْغَادِي[1]

يا دَهْرُ ! فِيمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيلَةٍ ... كَانَتْ خُلَاصَةَ عُدَّتِي وَعَتَادِي[2]

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَايَ لِبُعْدِهَا ... أَفَلَا رَحِمْتَ مِنَ الْأَسَى أَوْلَادِي[3]

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنْ يُسَامَ أَخُو الْأَسَى ... رَعْيَ التَّجَلُّدِ ، وَهْوَ غَيْرُ جَمَادِ[4]

هَيْهَاتَ بَعْدَكِ أَنْ تَقَرَّ جَوَانِحِي ... أَسَفًا لِبُعْدِكِ ، أَوْ يَلِينَ مِهَادِي[5]

وَلَهِي عَلَيْكِ مُصَاحِبٌ لِمَسِيرَتِي ... وَالدَّمْعُ فِيكِ مُلَازِمٌ لِوِسَادِي[6]

فَإِذَا انْتَبَهْتُ فَأَنْتِ أَوَّلُ ذِكْرَتِي ... وَإِذَا أَوَيْتُ فَأَنْتِ آخِرُ زَادِي[7]

وقال يصف الحرب :

وَلَمَّا تَدَاعَى الْقَوْمُ وَاشْتَبَكَ الْقَنَا ... وَدَارَتْ، كَمَا تَهْوَى عَلَى قُطْبِهَا الْحَرْبُ[8]

وَزُيِّنَ لِلنَّاسِ الْفِرَارُ مِنَ الرَّدَى ... وَمَاجَتْ صُدُورُ الْخَيْلِ وَالْتَهَبَ الضَّرْبُ

---

(١) اللوعة : ألم الفراق ، والغادى : الذاهب ، من غدا يغدو إذا ذهب فى الصباح ، والمراد هنا من الغادى : الذاهب عن الدنيا .

(٢) العدة ، والعتاد : ما يعد المرء لشأنه ، يريد أنها كانت سنده فى الحياة وعونه .

(٣) الضنا : الضعف والسقم ، والأسى : الحزن .

(٤) سامه الأمر : كلفه إياه ، والرعى : المراعاة .

(٥) تقر : تهدأ ، والجوانح : الأضلاع ، مفردها : جانحة ، والمهاد : الفراش .

(٦) الوله : أشد الحزن ، والمسيرة : السير ، والمراد بها هنا العمر والحياة ، أى أن حزنه سيصاحب أيام حياته ، والوساد : المخدة والمتكأ .

(٧) انتبهت : استيقظت ، والذكرة : الذكر ، وأويت : دخلت فراشى ، والزاد : ما يتزود به .

(٨) تداعى القوم : دعا بعضهم بعضاً للقتال ، والقنا : جمع قناة ، وهى الرمح ، وشبه الحرب بالرحى فى دورانها على قطبها .

وَدَارَتْ بِنَا الْأَرْضُ الْفَضَاءُ كَأَنَّنَا ... سُقِينَا بِكَأْسٍ لَا يُفِيقُ لَهَا شَرْبُ(١)

صَبَرْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ سَمَاؤُهَا ... وَإِنِّى صَبُورٌ إِنْ أَلَمَّ بِىَ الْخَطْبُ(٢)

وقال يصف الفراق :

مَحَا الْبَيْنُ مَا أَبْقَتْ عُيُونُ الْمَهَا مِنِّى ... وَشِبْتُ وَلَمْ أَقْضِ اللُّبَانَةَ مِنْ سِنِّى(٣)

عَنَاءٌ وَيَأْسٌ وَاشْتِيَاقٌ وَغُرْبَةٌ ... أَلَا شَدَّ مَا أَلْقَاهُ فِى الدَّهْرِ مِنْ غَبْنِ(٤)

فَإِنْ أَكُ فَارَقْتُ الدِّيَارَ فَلِى بِهَا ... فُؤَادٌ أَضَلَّتْهُ عُيُونُ الْمَهَا عَنِّى(٥)

بَعَثْتُ بِهِ يَوْمَ النَّوَى إِثْرَ لَحْظَةٍ ... فَأَوْقَعَهُ الْمِقْدَارُ فِى شَرَكِ الْحُسْنِ(٦)

فَهَلْ مِنْ فَتًى فِى الدَّهْرِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ... فَلَيْسَ كِلَانَا عَنْ أَخِيهِ بِمُسْتَغْنِ

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ وَأَسْبَلَتْ ... مَدَامِعُنَا فَوْقَ التَّرَائِبِ كَالْمُزْنِ(٧)

أَهَبْتُ بِصَبْرِى أَنْ يَعُودَ فَعَزَّنِى ... وَنَادَيْتُ حِلْمِى أَنْ يَثُوبَ فَلَمْ يُغْنِ(٨)

---

(١) الشرب بفتح الشين : الشاربون .

(٢) تجلت سماؤها : يريد ذهبت شدتها ، وصبور : كثير الصبر ، وألم بتشديد الميم : نزل ، والخطب : الشدة والأمر العظيم .

(٣) البين : البعد والفرقة ، والمها : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشية يضرب بها المثل فى جمال العيون ، واللبانة : الحاجة فى غير فاقة ، والسن : العمر ، ولبانة الشباب : ما يقتضيه من لهو ومرح .

(٤) العناء : التعب والمشقة ، وألا شد : ما أشد ، والغبن : يريد به الظلم .

(٥) أضلته : يريد شغلته .

(٦) النوى : البعد ، وإثر لحظة : عقب لحظة ، واللحظة : النظرة بمؤخر العين ، والمقدار : قدر الله ، والشرك : حبالة الصيد .

(٧) أسبلت الدموع : أرسلت وهملت ، والترائب : جمع تريبة ، وهى عظمة الصدر ، والمراد بها هنا الصدر ، والمزن : المطر .

(٨) أهاب به : دعاه ، وعزنى : غلبنى ، والحلم : العقل ، ويثوب : يرجع ، ويغنى : يفيد .

وَمَا هِيَ إلّا خَطْرَةٌ ، ثُمَّ أَقْلَعَتْ ... بِنَا عَنْ شُطوطِ الْحَيِّ أَجْنِحَةُ السُّفْنِ [1]

فَكَمْ مُهْجَةٍ مِنْ زَفْرَةِ الْوَجْدِ فِي لَظًى ... وَكَمْ مُقْلَةٍ مِنْ غَزْرَةِ الدَّمْعِ فِي دَجْنِ [2]

وَمَا كُنْتُ جَرَّبْتُ النَّوَى قَبْلَ هٰذِه ... فَلَمَّا دَهَتْنِي كِدْتُ أَقْضِي مِنَ الْحُزْنِ [3]

وَلٰكِنَّنِي رَاجَعْتُ حِلْمِي وَرَدَّنِي ... إِلَى الْحَزْمِ رَأْيٌ لَا يَحُومُ عَلَى أَفْنِ [4]

وَلَوْلَا بُنَيَّاتٌ وَشِيبٌ عَوَاطِلٌ ... لَمَا قَرَعَتْ نَفْسِي عَلَى فَائِتٍ سِنِّي [5]

١٤ — حفني بك ناصف [6]

قال يخاطب ناظر الحقانية وقد نقله إلى « قنا » :

رَقَّيْتَنِي حِسًّا وَمَعْنَى ... فَلِصُنْعِكَ الشُّكْرُ الْمُثَنَّى

وجَعَلْتَ رَأْسَ الْحَاسِدِ ... ينَ بِمِصْرَ مِنْ قَدَمَيَّ أَدْنَى

وَجَعَلْتَ سُدَّةَ مَنْزِلِي ... مِنْ أَسْقُفِ الْهَرَمَيْنِ أَسْنَى [7]

(١) أقلع عن المكان : تحول عنه ، وشطوط : جمع شط ، وهو جانب البحر ، والحي : منازل القوم ، وأجنحة السفن : أشرعتها .

(٢) المهجة : دم القلب ، ويراد بها هنا القلب ، الزفرة : النفس الشديد الحار ، واللظى : لهب النار والمقلة : العين ، وغزرة الدمع : كثرته ، والدجن : الظلمة .

(٣) دهتني : أصابتني ، وأقضي : أموت ، من قضى الرجل يقضي .

(٤) راجعت : استرددت ، والحلم : العقل ، وحام على الشيء : دار به ، والأفن : سوء الرأي .

(٥) البنيات : جمع بنية ، وهي البنت الصغيرة ، والفائت : ما لم يدركه الإنسان ، وقرع السن ، كناية عن الندم ، يقول : لولا بناته الصغار ، ولولا من يعولهم من أهله المسنين الذين لا كسب لهم ما ندم على شيء .

(٦) هو القاضي الفاضل والشاعر الكاتب الأستاذ محمد حفني ناصف ، ولد ببركة الحج من أعمال القليوبية ، ودرس بالأزهر ودار العلوم ، فخرج نابغة نابهاً ، شغل مناصب القضاء والتدريس بالمدارس والجامعة ، فكان مثال الفضل والبراعة وحسن الفكاهة وسرعة البديهة ، يمتاز أسلوبه بالجزالة في النثر والسهولة في الشعر ، توفي سنة ١٩١٩ م .

(٧) سدة المنزل (بتشديد الدال) : عتبة بابه .

أَسْكَنْتَنِى فى بُقْعَـــةٍ   فيهـا غَدَوْتُ أَعَزَّ شَأْنا
أَرِدُ المشـــارعَ سابقاً   والسَّبْقُ عند الوِرْد أَهْنا(١)
وَأَزُورُ آثارَ المُـــلو   كِ ، وكنتُ قبلُ بهـا مُعَنَّى(٢)
بَـــلَدٌ إذا حلتْ بهِ   قدماكَ قُلت حَلَلْتُ حِصْنا
جَبَـــلُ المُقَطَّم حَوْلَهُ   مُتَعَطِّفٌ كالنُّون حُسنا(٣)
هَيْهاتَ أن يَصِلَ العدُوّ (م) لَهُ ، وَيُدْرِكَ ما تَمَـــنَّى

***

قالوا : شَخَصْتَ إلى قِنـا   يا مَرْحَباً « بقنا » و « إسْنَا »
قالوا : سَكَنْتَ السَّفْحَ قُلْ   تُ وحَبَّذَا بالسَّفحِ سُكْنَى
قالوا : « قِنَا » حَرٌّ ، فقُلْ   تُ : وهل يردُّ الْحَرَّ قِنَّا ؟(٤)
سِرُّ الحيـــاة حرارةٌ   لَوْلاهُ ما طَيْرٌ تَغَــنَّى
كَــلَّا ! ولا زَهْرٌ تَبَسْ   سَمَ ، لا ولا غُصْنٌ تَثَنَّى !
تَتَدَفَّقُ الأنهـــارُ مِنْ   حَرٍّ ، وتُزْجِى الرِّيحُ مُزْنا !(٥)
ها قد أَمِنْتُ البـردَ والـ   بُرَدَاءَ ، والقلبُ اطمأنّا(٦)

(١) أرد المشارع : آتيها للارتواء ، والمشارع : جمع مشرع وهو المنهل يرده الظماء .
(٢) معنى : كلفا (بكسر اللام) مشتاقاً .
(٣) متعطف : منحن كالقوس .
(٤) القن : العبد الرقيق ، وفاعل يرد يعود على (حر) بفتح الحاء ، يقول وهل يصير حر قنا الرجل الحر عبداً رقيقاً .
(٥) المزن : المطر ، واحدته مزنة بضم الميم وسكون الزاى .
(٦) البرداء : الثقلاء ، جمع بارد وهو الإنسان المتبلد الإحساس .

وَوُقيت أَمْرَاضَ الرُّطو بَةِ ، واستَرق الريح وَهْنا[1]
أَلْقَى الهَــواءَ فَلا أَهَا بُ لِقَاءَه : ظَهْرًا وَبَطْنَا
وَأَنامُ غَـــــيْرَ مُدَثَّر شَـيْئًا إِذَا مَا اللَّيْـلُ جَنَّـا
قَدْ خَفَّت النَّفَقَاتُ إِذْ لا أَشْـتَرى صُوفًا وَقُطْنـا
وَفَّرْتُ منْ ثَمن الوَقُو د النصْفَ أَوْ نِصْفًا وَثمنا
فَالشَّمْسُ تَـكْفُل رَاحَتى ؛ فـكأنها أُمِّى وَأَخْـــــنَى
فإِذَا بَدَتْ لى حاجـةٌ فى الغُسْلِ أَلْـقَى الماءَ سُخْنَا
أَوْ رُمْتُ طَبْخًا أَوْ عـلَا جَ الْخُبْزِ أَلْقَى الجو فُرْنا
سُـكْنَى القُرى تَدَعُ السَّفِيـ ـهَ مُوكَلاً بالمـال مُضْـنَى
أَيُّ المـــــلاهى فيه يَصـ ـرِفُ مالَه وَمتَى وأَنَّى ؟
كلُّ أمرِئٍ تلقاه مِن بعد الظهـيرة مُسْتَـكِنَّا[2]
وَيَرَى الغريبُ السِّعرَ أَيْـ سَرَ حالَةً ، وَأَخَفَّ غَبْنـا
يَجِد الحَلِيبَ بِمِينـــــه لَبَنًا ، وَيُلفى السَّـمْنَ سَمْنا
عِشْ فى القُرَى رَأْسًا ، وَلَا تَسْـكُنْ مع الْأَذْنَاب مُدْنا
وَدَعِ الجَــــــزِيرةَ وَالمَهَا وَالجِسْرَ وَالظَّبْيَ الأَغَنَّـا[3]
واسْـلُ الأَغانِىَ وَالغَـوا نِىَ ، وَاسْأَل الرَّحْمٰنَ عَدْنا !

---

(١) استرق الريح : سرى رقيقاً ناعماً ، الوهن بسكون الهاء : الضعف .
(٢) مستكناً : مختبئاً .
(٣) الظبي الأغن : الذى فى صوته غنة بضم الغين وتشديد النون المفتوحة .
(٤) اسل : فعل أمر من سلا بمعنى ترك ونسى ، الغوانى : جمع غانية وهي الحسناء التى غنيت بجمالها عن غيره . وعدن بسكون الدال : جنة عدن .

ولما أشرف على الإحالة على المعاش ببلوغ الستين ، كتب إلى المرحوم حسين رشدى باشا ، وكان يومئذ رئيساً للوزارة ، يسأله أن يعدّ فى أجل خدمته ، فى مفاكهة غاية فى الظَّرف والرقة :

صَاحِبَ الدَّوْلَةِ يَا شَيْخَ الْوِزَارَهْ — حَاجَتِي إِنْ شِئْتَ تُقْضَى بِإِشَارَهْ

نَالَهَا قَبْلِي أُلُوفٌ لَمْ أَكُنْ — دُونَهُمْ عِلْماً وَلَا أَدْنَى إِدَارَهْ

نَاهِزَ السِّتِّينَ عُمْرِي إِنَّمَا — لَمْ أَزَلْ جَمَّ الْقُوَى جَمَّ الْجَدَارَهْ(١)

وَإِذَا لَمْ يَشْكُ مِثْلِي عِلَّةً — هَلْ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يَلْزَمَ دَارَهْ

إِنَّ تَرْكِي خِدْمَةَ الْأَوْطَانِ مَعْ — طُولِ مَا مَارَسْتُ فِي الدُّنْيَا خَسَارَهْ

وَحَيَاتِي كُلُّهَا قَضَّيْتُهَا — تَارَةً فِي الْعَدْلِ وَالتَّعْلِيمِ تَارَهْ(٢)

وقال يتحسَّر على ضياع علمه بموته :

أَتَقْضِي مَعِي إِنْ حَانَ حَيْنِي تَجَارِبِي — وَمَا نِلْتُهَا إِلَّا بِطُولِ عَنَاءِ(٣)

وَأَبْذُلُ جُهْدِي فِي اكْتِسَابِ مَعَارِفٍ — وَيَفْنَى الَّذِي حَصَّلْتُهُ بِفَنَائِي(٤)

وَيَحْزُنُنِي أَلَّا أَرَى لِيَ حِيلَةً — لِإِعْطَائِهَا مَنْ يَسْتَحِقُّ عَطَائِي(٥)

إِذَا وَرَّثَ الْجُهَّالُ أَبْنَاءَهُمْ غِنًى — وَجَاهاً ، فَمَا أَشْقَى بَنِي الْعُلَمَاءِ(٦)

---

(١) ناهز : قارب . والجم بتشديد الميم : الكثير . والجدارة : الأهلية والاستحقاق .

(٢) وإن كانت نشأة الشاعر الأولى فى الأزهر ، ثم فى دار العلوم فقد ولى القضاء فى المحاكم الأهلية مدة ليست بالقصيرة .

(٣) تقضى : تموت وتفنى . وحان حينى : جاء أجلى . والتجارب : ما يستفيده المرء من خبرة فى ممارسته لشؤون الحياة ، مفردها تجربة . والعناء : الجهد والمشقة

(٤) حصلته : جمعته :

(٥) العطاء : ما يجود به المرء على غيره . ويريد أن ما حصله من العلم لا يستطيع أن يهبه لمن لا يستحقه كما يوهب المال مثلا

(٦) الجاه : علو المنزلة ، ورفعة القدر

١٥ — ولى الدين يكن[1]

وَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ

يُرِيدُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا هَنَاءً ... وَيَأْبَى أَنْ يَجُودَ بِهِ الزَّمَانُ

حَيَاةٌ حَارَبَتْهُمْ مُنْذُ كَانَتْ ... وَحَظٌّ حَارَبُوهُ مُنْذُ كَانُوا

وَآمَالٌ تَغُرُّهُمُ عِجَافٌ ... وَأَحْدَاثٌ تُكَذِّبُهَا سِمَانُ[2]

وَكَمْ مِنْ مُسْتَنِيلٍ لَيْسَ يُعْطَى ... وَكَمْ مِنْ مُسْتَعِينٍ لَا يُعَانُ[3]

تَكَاثَرَتِ الْهُمُومُ فَلَا يَرَاعٌ ... تُوَفِّيهَا الشَّكَاةُ وَلَا لِسَانُ[4]

أَمَانًا أَيُّهَا الْخَصْمُ الْمُعَادِي ... إِذَا دَانَ الْعِدَا وَجَبَ الْأَمَانُ

أَإِنْ رَغِبُوا إِلَيْكَ رَغِبْتَ عَنْهُمْ ... لَقَدْ هَانَتْ رَغَائِبُهُمْ وَهَانُوا

يُمَنِّي النَّاسُ بَعْضَهُمُ بِخَيْرٍ ... أَلَا كَذَبُوا عَلَى بَعْضٍ وَمَانُوا

وَدَاعٍ جَاءَ يَدْعُونِي لِنُصْحٍ ... وَقَدْ وَهَنَ النُّهَى وَوَهَى الْبَنَانُ

---

(١) ولى الدين بن حسن سرى بن إبراهيم باشا يكن ، ولد بالآستانة وجاء القاهرة طفلا وتعلم بها ومال إلى الأدب واشتهر به ، ثم سافر إلى الآستانة وعين فى مجلس معارفها ، ثم نفاه السلطان عبد الحميد إلى ولاية سيوارس ، وبعد إعلان الدستور العثمانى عاد إلى مصر وأخذ ينشر كتبه ومقالاته ، وله شعر رقيق وكتابة جيدة ، مات سنة ١٣٣٩ هـ

(٢) عجاف : جمع عجفاء هزيلة ضامرة . وسمان : جمع سمينة

(٣) مستنيل : طالب نوالا أى عطاء . مستعين : طالب عونا .

(٤) اليراع : الأقلام ، المفرد يراعة .

(٥) مانوا : من المين بسكون الياء وهو الكذب .

(٦) وهن : ضعف . النهى : جمع نهية بضم النون وسكون الهاء . وهى : ضعف . البنان : أطراف الأصابع جمع بنانة .

تعبت مِنَ الكلامِ فليسَ يجدى — كما أمّلتُ — نَظمٌ أوْ بيانُ

وكانتْ صَبْوَةٌ وَنزعْتُ عنها فهأنا لا أدينُ وَلا أُدانُ(١)

وَمَا أَسَفِى عَلَى عَهْدٍ تقضَّى وَلٰكنْ صُنْتُ عَهْدا لَا يُصَانُ

ظَلَلْتُ أمينَهُ دَهْرًا طَوِيلًا وَكُنْتُ أَظُنُّ أنّى لا أُخانُ

* * *

وَدار لَا يَزُولُ الْقَتْلُ عَنْهَا كَأَنّ الْحَرْبَ فِيهَا مِهْرَجَانُ

أَهَابَ بِهَا الْيَرَاعُ فَلَمْ تُجِبْهُ وَنَادَاهَا فَجَاوَبَتِ السِّنَانُ(٢)

تَظَلُّ بِهَا السَّوَاعِدُ عَامِلَات يُصَرِّفُهَا ضِرَابٌ أَوْ طِعَانُ

بَكَتْ عَيْنِي الشَّبَابَ وَحِينَ جَفّتْ مَدَامِعُهَا عَدَا يَبْكِى الْجَنَانُ(٣)

لَعَمْرُكِ مَا لِذِى نُصْحٍ مَكَانٌ وَلَا لِلنُّصْحِ فِى الدُّنْيَا مَكَانُ

فَدَعْنِى إِنَّ آمَالِى اسْتَكَفَّتْ فَلِى شَأْنٌ وَلِلآمَالِ شَانُ(٤)

معارضته قصيدة الحصرى

« يَالَيْلُ الصَّبُّ مَتَى غَدُهُ »

الْحُسْنُ مَكَانُكِ مَعْبَدُهُ وَاللَّحْظُ فُؤَادِى مَغْمَدُهُ(٥)

يَا سَيِّدَتِى هَذَا حُرٌّ لَمْ يُعْرَفْ قَبْلَكِ سَيِّدُهُ

---

(١) صبوة : من صبا بمعنى مال وأحب

(٢) السنان : نصل الرمح .

(٣) الجنان بفتح الجيم : القلب .

(٤) استكفت : انقطعت وانتهت .

(٥) مغمده : مكان غمده شبه اللحظ بالسيف ، والفؤاد بالغمد الذى يحتويه .

اللَّيـلُ وَطَيْفُـك يَعْـرفهُ إنْ كَانَ فُؤادُكِ يَجْحَدُهُ
كَمْ يُوحِي طَرْفُكِ لى غزَلا وَأنا فى شِعْرى أُنْشِـدُهُ
وَتُسَاجِلُنى الأَطْيَارُ هوَى فِى الدَّوحِ أَبِيتُ أُرَدِّدُه[١]
للصُّبحِ سَنَاؤُكَ أَبْيَضُـهُ لِلَّيـل غَرَامِى أَسْوَدُهُ
أَحْبَبْت قِـلاكَ فَمُطْلَقُهُ عِنْـدى عَـذْبٌ وَمُقَيَّـدهُ[٢]
إنْ ضَلَّ حَنَانُك عَنْ قَلْبى فَأَنَا بِوُلُوعى أُرْشِـدُهُ
قَدْ بَاتَ دَلالُك يَخْذُلُهُ وَجَمالُكِ كَانَ يُؤَيِّدُه
زِيدى تِيهـا أَزْدَدْ كَلَفاً كَفِى إنْ رَثَّ أُجَـدِّدُهُ[٣]
(شَوْقى) إنْ بِنْتُ يُضَاعِفُهُ (صَبْرى) إنْ جُرْتُ يُؤَكِّـدُهُ[٤]
خِلَّانِ هُمَا شَمْسَا فَلَكٍ طَرْفى مَعَ طَرْفِك يَرْصُدُهُ[٥]
فَصِـلِى بِاللهِ وَلَوْ حُلُمًا (مُضْنَاكِ جَفَاهُ مَرْقَدُهُ)
وَعِديهِ اليَـوْمَ وَلَوْ كَـذِبًا الصَّبُّ يُمَاطِلُهُ غَـدُهُ[٦]

---

(١) تساجله : تباريه ، والدوح : الشجر ، واحدته دوحة بسكون الواو .

(٢) قلاك : هجرك .

(٣) كلفاً : ولوعاً وشوقاً ، يقول : كلما زدت تيهاً ودلالا أزداد بك هياماً وحباً ، رث : تقادم وبلى

(٤) شوقى : من الشوق ، وهو المعنى الظاهر من السياق . والمراد الحقيقى بلفظه المرحوم شوقى بك أمير الشعراء فى العصر الحديث ، بنت : بعدت ، صبرى : من الصبر ، وهو المعنى الظاهر ، والمراد بلفظه المرحوم (إسمعيل باشا صبرى) الشاعر المعروف . جرت : ظلمت ، والجور هنا يراد به الهجر وادعاء النسيان .

(٥) يقول إن « شوقى » و« صبرى » الشاعرين صديقان هما كشمسى فلك يرصدهما طرفى وطرفك إيماء إلى سطوع شهرتهما فى الشعر وتعلقه بهما .

(٦) يماطله : يسوفه ويباعده .

١٦ – إسماعيل صبرى باشا[1]

قال :

إن سَئِمْتَ الحَياةَ فَارْجِعْ إلَى الأرْ ... ضِ تَنَمْ آمِناً مِنَ الأوْصَابِ[2]

تِلْكَ أُمٌّ أحْنَى عَلَيْكَ مِنَ الأمْ ... مِ الَّتى خَلَّفَتْكَ لِلأتْعَابِ[3]

لا تَخَفْ ؛ فَالمَمَاتُ لَيْسَ بِمَاحٍ ... مِنْكَ إلَّا ما تَشْتَكِى مِنْ عَذَابِ

كُلُّ مَيْتٍ باقٍ ، وَإنْ خَالَفَ العُنْ ... وَانُ مانُصَّ فى غُضُونِ الكِتَابِ[4]

وَحَيَاةُ المَرْءِ اغْتِرَابٌ فَإنْ مَا ... تَ فَقَدْ عَادَ سَالِماً لِلتُّرَابِ[5]

وقال يناجى الدواة :

يا دَوَاةُ اجْمَلِى مِدَادَكِ وِرْداً ... لِوُفُودِ الأقْلَامِ حِيناً فَحِينَا[6]

وَلْيَكُنْ كَالزَّمانِ حَالاً وَحَالاً ... تَارَةً آسِناً وَأُخْرَى مَعِينَا[7]

---

(١) ولد إسماعيل صبرى باشا سنة ١٨٥٤ م . وتعلم بالمبتديان والتجهيزية والإدارة ، ثم أرسل إلى فرنسا ، فدرس الحقوق هناك وشغل فى مصر مناصب القضاء ، وجعل يترقى فيها إلى أن صار وكيل الحقانية ؛ وقد شغف بالأدب لذاته ، وكان لرقة طبعه وظهوره على الأدب الفرنسى أثر فى رقة شعره وحسن ابتكاره وجمال نقده ، له أسلوب عذب وحسن بصيرة وجمال فنى ؛ مات سنة ١٩٢٣ م .

(٢) الأوصاب : جمع وصب بفتحتين ، المرض والوجع الدائم . ورجوعه إلى الأرض . لأنه خلق من ترابها

(٣) أحنى : أعطف وأرفق ، والأم الأولى : الأرض . والثانية : الأم الحقيقية ذات الولد . والأتعاب جمع ، تعب .

(٤) فى غضون الكتاب : فى أثنائه . هذا البيت بمثابة التدليل على البيت الذى قبله ، فإنه قرر فى ذلك البيت أن الموت لا يمحو من الإنسان شيئاً ، اللهم إلا آلامه وأوجاعه . وفى هذا البيت يقول : إن كل ميت هو فى الواقع حى ، وإن كان الموت معروفا بأنه عدم الحياة ، وذلك كشأن العنوان إذا خالف فى الواقع ما نص عليه فى صلب الكتاب .

(٥) هذا البيت جار مجرى البيت الذى قبله ، وهو من أخر الشعر وأروعه .

(٦) الورد بكسر الواو : الماء الذى يورد .

(٧) الآسن : الراكد المتغير . والمعين بفتح الميم : الماء الجارى . يطلب إلى المداد أن تكون حالته كحال الزمان فى سعده ونحسه ، وفى صفوه وكدره .

أكرمى العِلْمَ وامنحى خادميه ... مَاءِكَ الغَالِىَ النَّفِيسَ الثمينا
وَابْذُلِى الصَّافِىَ المُطَهَّرَ مِنْهُ ... لِهُدَاةِ السَّرَائِرِ المُرْشِدِينَا
وَإِذَا الظُّلْمُ وَالظَّلَامُ اسْتَعَانَا ... يَوْمَ نَحْسٍ بِأَجْهَلِ الجَاهِلِينَا
وَاسْتَمَدَّا منَ الشُّرُور مدَادًا ... فَاجْعَليه من قِسْمَةِ الظَّالِمِينَا
وَإِذَا مُهْجَةُ الحَمَائِمِ أَسْدَتْ ... نُقْطَةً سِرَّهَا الزَّكِىَّ المَصُونَا[1]
فَاجْعَلِيهَا عَلَى المَوَدَّات وَقْفًا ... وَهَبِيهَا رَسَائِلَ الشَّيِّقِينَا[2]
فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِقَلْبِكَ إِلَّا ... مَا أَعَدَّ الإِخْلَاصُ لِلْمُخْلِصِينَا
فَاجْعَلِيهِ حَظِّى لأَكْتُبَ مِنْهُ ... شَرْحَ حَالى لِسَيِّدِ المُرْسَلِينَا[3]

وقال رحمه الله :

يا مَوْتُ خذْ مَا أَبقَتْ الْ ... أَيَّامُ وَالسَّاعَات مِنِّى
بَيْنِى وَبَيْنَكَ خَطْوَةٌ ... إِنْ تَخْطُهَا فَرَّجْتَ عَنِّى

وقال :

وَلَمَّا الْتَقَيْنَا قَرَّبَ الشَّوْق جُهْدَهُ ... شَجِيَّيْنِ فَاضَا لَوْعَةً وَعِتَابَا[4]
كَأَنَّ صَدِيقًا فى خِلَال صَدِيقه ... تَسَرَّبَ أَثْنَاءَ العِنَاقِ وَغَابَا

---

(١) المهجة : دم القلب . والحمائم : جمع حمامة . وأسدت هنا بمعنى استودعت . وذلك لأن الحمام معروف بالوداعة واللطف وطهر القلب .
(٢) المودات بفتح الميم والواو وتشديد الدال : جمع مودة . الشيقين : المشتاقين .
(٣) حظى : نصيبى .
(٤) شجيين : حزينين من شدة الشوق ، مثنى شجى (بتشديد الياء) . اللوعة : حرقة الوجد .

وقال فى ساعة التوديع :

أَتُرَى أَنتَ خَاذِلِى سَاعَةَ التَّوْ ... دِيعِ يا قَلْبُ فِى غَدٍ أَمْ نَصِيرِى ؟
وَيْكَ ؛ قُل لِى ، مَتَى أَرَاكَ بِجَنْبِى ... رَاضِياً عَنْ مَكَانِكَ الْمَهْجُورِ ؟
لَسْتَ بَعْضَ الْحُدَاةِ بَلْ أَنْتَ بَعْضِى ... قِفْ قَلِيلاً ؛ فَلَسْتَ بِالْمَأْجُورِ[1]
سَاعَةَ الْبَيْنِ قِطْعَةٌ أَنْتِ قُدَّتْ ... لِلْمُحِبِّينَ مِنْ عَذَابِ السعِيرِ[2]
لَا تَحِينِى ! روحِى الفِدَاء لِمَا حِيـ ... ـنَ لَكَ غَدًا مِنْ صَحِيفَةِ الْمَقْدُورِ[3]

وقال يتغزّل :

أَبثُّكِ مَا بِى فَإِنْ تَرْحَمِى ... رَحِمْتِ أَخَا لَوْعَةٍ مَاتَ حُبَّا[4]
وَأَشْكُو النَّوَى مَا أَمَرَّ النَّوَى ... عَلَى هَائِمٍ إِنْ دَعَا الشَّوْقُ لَبَّا[5]
وَأَخْشَى عَلَيْكِ هبُوبَ النسِيمِ ... وَإِنْ هُوَ مِنْ جَانِبِ الرَّوْضِ هَبَّا
وَأَسْتَغْفِرُ اللّهَ مِنْ بُرْهَةٍ ... مِنَ الْعُمْرِ لَمْ تَلْقِنِى فِيكِ صَبَّا[6]

---

(١) الحداة بضم الحاء : جمع حاد ، الذى يسوق الإبل ويغنى لها . يريد من قلبه أن يثبت فى مكانه الذى هجره ليسير فى ركاب الأحبة ويغنيهم ، وذلك كناية عن دوام خفقانه . وهو من المبالغات البديعة .

(٢) البين : البعد والفراق . وقدت قطعت .

(٣) حان الشىء يحين : قرب وقته . يقول : لا تقتربى يا ساعة الفراق ، روحى فداء لمن يحوك غداً من الزمن .

(٤) اللوعة : حرقة الحزن والهوى . وأخوها : صاحبها .

(٥) النوى : البعد والفرقة . والهائم : العاشق .

(٦) البرهة : بضم الباء وفتحها القطعة من الزمن . وهو يريد بها هنا القطعة القصيرة . الصب : العاشق الشديد العشق .

تَعَالَىْ نُجَدِّدْ زَمَانَ الهَنَاءِ ... وَنَنْهَبْ لَيَالِيَهُ الغُرَّ نَهْبَا[١]
تَعَالَىْ أَذُقْ بِكِ طَعْمَ السَّلَامِ ... وَحَسْبِي وَحَسْبُكِ مَا كَانَ حَرْبَا[٢]

وقال يتغزّل :

يَا رَاحَةَ القَلْبِ يَا شُغْلَ الفُؤَادِ صِلِي ... مُتَيَّمًا أَنْتِ فِي الحَالَيْنِ دُنْيَاهُ[٣]
زِينِي النَّدِيَّ وَسِيلِي فِي جَوَانِبِهِ ... لُطْفًا يَعُمُّ رَعَايَا اللُّطْفِ رَيَّاهُ[٤]
رَيْحَانَةٌ أَنْتِ فِي صَحْرَاءَ مُجْدِبَةٍ ... مِنَ الرَّيَاحِينِ حَيَّانَا بِهَا اللهُ
إِنْ غَابَ سَاقِي الطِّلَا أَوْ صَدَّ ، لَا حَرَجٌ ... هَذَا جَمَالُكِ يُغْنِينَا مُحَيَّاهُ[٥]

وقال متغزِّلاً :

أَقْصِرْ فُؤَادِي فَمَا الذِّكْرَى بِنَافِعَةٍ ... وَلَا بِشَافِعَةٍ فِي رَدِّ مَا كَانَا[٦]
سَلَا الفُؤَادُ الَّذِي شَاطَرْتَهُ زَمَنًا ... حَمْلَ الصَّبَابَةِ فَاخْفِقْ وَحْدَكَ الآنَا[٧]

---

(١) الغر : جمع غراء بتشديد الراء : يريد الحسان .
(٢) السلام : ضد الحرب . ويريد بالسلام القرب والتواصل ، وبالحرب البعد والتنافر . وهذا شبيه بقول العباس بن الأحنف

تعالى نجدد دارس العهد بيننا ... كلانا على طول الجفاء ملوم

(٣) المتيم ، الذى استذله الحب . وفى الحالين ، أى فى حال الوصل والهجر .
(٤) الندى ، بتشديد الياء . النادى . والريا بفتح الراء وتشديد الياء : الريح الطيبة الزكية .
(٥) الطلا بكسر الطاء : الخمر . والمحيا بضم الميم وتشديد الياء المفتوحة : الوجه .
(٦) أقصر : كف وأقلع
(٧) سلا : هجر ونسى . يريد بالفؤاد فؤاد التى كانت تبادله الحب . والصبابة بفتح الصاد : العشق .

هَلاَّ أَخَذْتَ لِهَذَا الْيَوْمِ أُهْبَتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْبِحَ الْأَشْوَاقُ أَشْجَانَا (١)

لَهْفِي عَلَيْكَ قَضَيْتُ الْعُمْرَ مُقْتَحِماً فِي الْوَصْلِ نَاراً وَفِي الْهِجْرَانِ نِيرَانَا (٢)

ومن قوله فى التَّصوُّف :

يَا رَبِّ : أَيْنَ تُرَى تُقَامُ جَهَنَّمٌ لِلظَّالِمِينَ غَدًا وَلِلْفُجَّارِ ؟

لَمْ يُبْقِ عَفْوُكَ فِي السَّمٰوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ شِبْرًا خَالِياً لِلنَّارِ

يَا رَبِّ : أَهِّلْنِي لِفَضْلِكَ وَاكْفِنِي شَطَطَ الْعُقُولِ وَفِتْنَةَ الْأَفْكَارِ

وَمُرِ الْوُجُودَ يَشِفُّ عَنْكَ لِكَيْ أَرَى غَضَبَ اللَّطِيفِ وَرَحْمَةَ الْجَبَّارِ (٣)

يَا عَالِمَ الْأَسْرَارِ حَسْبِي مِحْنَةٌ عِلْمِي بِأَنَّكَ عَالِمُ الْأَسْرَارِ (٤)

أَخْلِقْ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي تَسَعُ الْوَرَى أَلَّا تَضِيقَ بِأَعْظَمِ الْأَوْزَارِ (٥)

وقال يرثى « عمر » ابن المرحوم الشيخ على يوسف وقد مات صغيراً :

يَا مَالِئَ الْعَيْنِ نُورًا وَالْفُؤَادِ هَوًى وَالْبَيْتَ أُنْساً ، تَمَهَّلْ أَيُّهَا الْقَمَرُ ! (٦)

لَا تُخْلِ أُفْقَكَ ، يَخْلُفْكَ الظَّلَامُ بِهِ وَالْزَمْ مَكَانَكَ ، لَا يَحْلُلْ بِهِ الْكَدَرُ (٧)

---

(١) الأهبة بضم الهمزة وسكون الهاء : العدة . تقول : اتخذت للأمر أهبته أى هيأت له أسبابه . والأشجان : الهموم والأحزان ، وأحدها شجن ، يقول : هلا حسبت حساب هذا اليوم يوم القطيعة والهجران ، فأعددت له عدته قبل أن تندفع فى تيار العشق ، فلا ينقلب ما كنت تجده من الشوق هموماً وأحزانا بما تعانى من القطيعة .

(٢) اقتحم النار : أى رمى بنفسه فيها ، وهجم عليها .

(٣) شف الشىء يشف من باب ضرب : رق فظهر ما وراءه . اللطيف : المراد به هنا الذات الإلهية وكذلك الجبار .

(٤) المحنة : البلية والمصيبة ، يقول : يكفينى مصيبة علمى بأنك تعلم السر وما يخفى ، لأنك مطلع على آثامى وأوزارى .

(٥) أخلق به أن يفعل كذا : أى ما أحقه بفعله ؛ الأوزار : جمع وزر بكسر الواو وهو الإثم .

(٦) الهوى : الحب .

(٧) يخلفك : يحل محلك ، ولا يحلل : لا يحل ، وقد فك الإدغام لضرورة الشعر .

فِي الْحَيِّ قَلْبَانِ بَاتَا ، يَا نَعِيمُهُمَا ، وفيهما ، إذْ قَضَيْتَ النَّارُ تَسْتَعِرُ(١)

وَأَعْيُنٌ أَرْبَعٌ تَبْكِي عَلَيْكَ أَسًى وَمِنْ بُكَاءِ الثَّكَالَى: السَّيْلُ وَالْمَطَرُ(٢)

قَدْ كُنْتَ رَيْحَانَةً فِي الْبَيْتِ وَاحِدَةً يَرُوحُ فِيهِ وَيَغْدُو نَفْحُهَا الْعَطِرُ(٣)

مَا كَانَ عَيْشُكَ فِي الْأَحْيَاءِ مُخْتَصَرًا إِلَّا كَمَا عَاشَ فِي أَكْمَامِهِ الزَّهَرُ(٤)

فَارْحَلْ تُشَيِّعُكَ الْأَرْوَاحُ جَازِعَةً فِي ذِمَّةِ اللهِ بَعْدَ الْقَبْرِ يَا عُمَرُ(٥)

وله يحمس المصريين على لسان فرعون :

لَا الْقَوْمُ قَوْمِي وَلَا الْأَعْوَانُ أَعْوَانِي إِذَا وَنَى يَوْمَ تَحْصِيلِ الْعُلَا وَانِي(٦)

وَلَسْتُ إِنْ لَمْ تُؤَيِّدْنِي فَرَاعِنَةٌ مِنْكُمْ بِفِرْعَوْنَ عَالِي الْعَرْشِ وَالشَّانِ(٧)

* * *

لَا تَقْرَبُوا النِّيلَ إِنْ لَمْ تَعْمَلُوا عَمَلًا فَمَاؤُهُ الْعَذْبُ لَمْ يُخْلَقْ لِكَسْلَانِ

---

(١) الحى : منازل القوم ، ويريد به بيت أبيه ، والقلبان : قلب والده وقلب والدته . ويانعيمهما : أى فى حال حياة ولدهما ؛ وقضيت : مت ، وتستعر : تلتهب .

(٢) الأعين الأربع : عينا أبيه ، وعينا أمه . والأسى : الحزن . والثكالى : جمع ثاكل وهو الذى يفقد ولده . والمعنى أن أعين والديك تبكى من الحزن لفقدك ، ودموع الفاقدين أولادهم تشبه السيل والمطر فى تدفقه وانهماره .

(٣) كان ريحانة واحدة ، لأنه لم يكن لوالديه غيره . النفح : الرائحة . والعطر بفتح العين وكسر الطاء الطيب الرائحة .

(٤) مختصراً أى قصيراً ، والأكمام : جمع كم بكسر الكاف ، وهو الغلاف الذى يحيط بالزهرة ، وهو لايلبث أن ينشق ، فتخرج الزهرة ، ويضرب بالزهر المثل فى قصر العمر .

(٥) تشيعك : تودعك ، وجازعة : شديدة الحزن .

(٦) الأعوان : جمع عون وهو النصير ، وونى : فتر وضعف ، وتحصيل العلا : نيل محامد الأمور .

(٧) الشأن : الأمر ، والمراد الذى عظم أمره ، وسمت منزلته .

وقال فى مسامحة الصديق :

إِذَا خَانَنِى خِـلٌّ قَدِيمٌ وَعَقَّنِى ... وَفَوَّقْتُ يَوْماً فى مَقَاتِله سَهْمِى[1]

تَعَرَّضَ طَيفُ الوُدِّ بَيْنِى وَبَيْنَهُ ... فَـكَسَّرَ سَهْمِى فَانْثَنَيْتُ وَلَمْ أَرْمِ

١٧ ـــ الشيخ محمد عبد المطلب[2]

قال فى احتفال الأمة المصرية بعيد النَّيروز سنة ١٩١٩ م ، يفخر بمصر ويعدِّد مآثرها من قصيدة طويلة :

لَنَا ذِرْوَةُ الْمَجْدِ الَّذِى تَحْتَ ظِـلِّهِ ... تَنَاسَلَتِ الْأَحْقَابُ وَاعْتَمَلَ الدَّهْرُ[3]

لَنَا آيَةُ الأَهْرَامِ يَتْلُو قَدِيمَهَا ... حَدِيثُ اللَّيالِى فَهْىَ فى فَمِهَا ذِكْرُ

مَلَأْنَا بِهَا لَوْحَ الْوُجُودِ مَنَاقِباً ... إِذَا مَا خَلَا عَصْرٌ تَلَاهُ بِهَا عَصْرُ[4]

وَلِلْعِلْمِ مِنْ آثَارِنَا فى جِبَالِنَا ... عَلَى الدهْرِ آيَاتٌ بِهَا يَنْطِقُ الصَّخْرُ

---

(١) عقه : عصاه ولم يبر به ، وفوق السهم بتشديد الواو المفتوحة : جعل الوتر فى فوقه عند الرمى والفوق بضم الفاء : هو رأس السهم ، يريد أنه إذا عصاه ولم يبر به سدد إلى مقاتله السهم ، كناية عن إيذائه والـكيد له .

(٢) هو محمد بن عبد المطلب بن واصل ، ولد ببلدة « باصونة » إحدى قرى مديرية جرجا ، وأبواه عربيان ينتميان إلى أسرة تتصل بعشيرة من عشائر جهينة التى هى إحدى بطون قضاعة ؛ تعلم فى الأزهر ، وتخرج فى دار العلوم ، وقد كان مدرسا للعلوم العربية بها كان واسع الاطلاع على المحفوظ من قصائد العرب المطولة ، شديد العصبية لسلف هذه الأمة وقوادها وعلمائها وشعرائها ، شديد الغيرة على العربية والإسلام ، وتميز شعره بجزالة الألفاظ ، ومتانة التراكيب ، وقوة القافية . وقد تغنى فى شعره بأعلام البادية ومعالمها حتى لقب بالشاعر البدوى . على أن شعره قد حوى موضوعات عصرية شتى كوصف الحرب الـكبرى وحديث السياسة المصرية وغيرها . ومات سنة ١٩٣١ م . عن ستين عاما . وله ديوان مطبوع .

(٣) اعتمل الدهر : اضطرب .

(٤) مناقب : جمع منقبة أى مفخرة .

وَلِلْمُلْكِ مِنَّا كُلُّ أَرْوَعَ نُظِّمَتْ عَلَى تَاجِهِ الْأَفلَاكُ وَالْأَنْجُمُ الزُّهْرُ[1]

وَمِنَّا الَّذِى سَاقَ الْأَسَاطِيلَ شُرَّعًا عَلَى الْبَحْرِ يَسْتَحِيِى لِصَوْلَتِهَا الْبَحْرُ[2]

لَنَا كُلُّ مَا فِى الْأَرْضِ مِنْ مَدَنِيَّةٍ بِهَا تَعْمُرُ الْأَمْصَارُ وَالْبَلَدُ الْقَفْرُ[3]

لَنَا فِى الْوَرَى حَقُّ الْمُعَلِّمِ لَوْ رَعَوْا لَنَا ذِمَّةً وَالدَّهْرُ شِيمَتُهُ الْغَدْرُ

إِذَا اعْتَزَّ قَوْمٌ بِالْحَدِيدِ سَمَتْ بِنَا مَكَارِمُ فِى طَىِّ الزَّمَانِ لَهَا نَشْرُ[4]

بَنَيْنَا عَلَى آدَابِ عِيسَى وَأَحْمَدٍ مَنَازِلَ عِزٍّ دُونَهَا يَقَعُ النَّسْرُ[5]

كِلَانَا عَلَى دِينٍ بِهِ هُوَ مُؤْمِنٌ وَلَٰكِنَّ خِذْلَانَ الْبِلَادِ هُوَ الْكُفْرُ

فَلَا يَحْسَبَنَّ النَّاسُ أَنَّا تَزَلْزَلَتْ بِنَا قَدَمٌ أَوْ مَسَّ وَحْدَتَنَا الضُّرُّ

وقال من قصيدة له فى المعلم :

بَنِى مِصْرَ مَا بَالُ الْمُعَلِّمِ كَاسِفًا يُرَى النَّاسُ فِيهَا يَكْبُرُونَ وَيَصْغُرُ[6]

سَبِيلُ النَّبِيئِينَ الْكِرَامِ سَبِيلُهُ يَعُمُّ بِهِ الدُّنْيَا صَبَاحًا فَتُقْمِرُ[7]

سَلُوا عَنْهُ جُنْحَ اللَّيْلِ كَمْ بَاتَ مُتْعَبًا تَنَامُ حَوَالَيْهِ النُّجُومُ وَيَسْهَرُ[8]

سَلُوا عَنْهُ عَيْنًا قَرَّحَ السُّهْدُ جَفْنَهَا يَخُطُّ عَلَيْهَا فِى الظَّلَامِ وَيَسْطُرُ

---

(١) الأروع : السيد الشهم .
(٢) شرعاً : ضاربات بأشرعتها فى الجو . الصولة : البطش .
(٣) البلد القفر : الخالى من النبات .
(٤) يريد أن لنا تاريخا مجيداً مطويا فى السنين الخالية تنشر أخباره على الأيام وهو مبعث العزة فينا كما يعتز غيرنا بالمخترعات الحديثة . (٥) النسر : طائر جارح لا يقع إلا على القمم العالية .
(٦) كاسفاً : حزيناً .
(٧) النبيئين : جمع نبىء مهموز نبى . فتقمر : يريد فتضىء .
(٨) جنح الليل : ظلامه . تنام النجوم : يريد تغيب .

سَلُوا عَنْهُ جِسْمًا بَاتَ بِالسُّقْمِ نَاحِلا ... فَلا الْبُرْءُ مَأْمُولٌ وَلا هُوَ يُعْذَرُ
سَلُوا عَنْهُ أَسْفَارًا قَضَى اللَّيْلَ بَيْنَهَا ... غَرِيباً عن الدُّنْيَا وَأَهْلُوهُ حُضَّرُ[1]
سَلُوا عَنْهُ قَلْبًا بَاتَ يَخْفِقُ رَحْمَةً ... عَلَى فِتْيَــةٍ مِنْ حَوْلِهِ تَتَضَوَّرُ[2]
فَإِنْ مَدَّ لِلدُّنْيَا يَدًا يَسْتَمِدُّهَا ... لَهُمْ ، عَنْهُ وَلَّتْ وَهْيَ غَضْبَى تَشَزَّرُ[3]
فيَا وَيْحَهُ كَمْ يَشْتَــكِى فى حَيَاتِهِ ... وَكَمْ يَتَلَقَّى مِنْ بَلاءٍ فَيَصْبِرُ
وَلَمْ تَحْيَ إِلَّا بِالْمُعلِّمِ أُمَّــةٌ ... وَلا سَادَ إِلَّا بِالْمُعلِّمِ مَعْشَرُ
فإِنْ لَمْ يَطِبْ بِالْعَيْشِ نَفْسًا وَلَمْ يَكُنْ ... لَهُ بَيْنَ أَهْلِيهِ الْمَقَامُ الْمُوَقَّرُ
رَأَيْتَ شَبَابًا يُطْفِئُ الْجَهْلُ نُورَهُ ... وَنَشْئًا إِذَا هَمُّوا إِلَى الْمَجْدِ قَصَّرُوا[4]

١٨ — حافظ إبراهيم[5]

قال يصف الشمس :

لَاحَ مِنْهَا حَاجِبٌ لِلنَّاظِرِينْ ... فَنَسُوا بِاللَّيْــلِ وَضَّاحَ الْجَبِينْ[6]
وَمَحَتْ آيَتُهَـــا آيَتَـــهُ ... وَتَبَــدَّتْ فِتْنَــةً لِلْعَــالَمِينْ

---

(١) أسفاراً : كتبا ، جمع سفر بكسر السين . حضر : جمع حاضر .
(٢) تتضور : تتلوى من الجوع .
(٣) يستمدها : يطلب منها المدد أى المعونة . تشزر بحذف إحدى التاءين : تنظر إليه بغضب وزراية .
(٤) النشء : جمع ناشىء وهو الصغير .
(٥) هو المرحوم حافظ بك إبراهيم ، ولد حوالى سنة ١٨٧٢ م . وتعلم فى المدرسة الحربية ، ثم تخرج ملازما وسافر إلى السودان ، ثم أحيل إلى المعاش ، ثم عين رئيساً للقسم الأدبى بدار الكتب ، وتوفى سنة ١٩٣٢ م . وكان شاعراً جيد الأسلوب ، قوى اللفظ ، موفقا فى الاجتماعيات ، ملهباً للشعور الوطنى بما يفشىء من قصائده السياسية .
(٦) وضاح الجبين : القمر .

نظرَ أبْرَاهَامُ فِيهَــا نَظْــرَةً ⠀⠀ فَأَرَى الشَّكَّ وَمَا ضَلَّ اليَقِينْ [١]

قالَ : ذَا رَبِّى ، فلمَّــا أَفلَتْ ⠀⠀ قَالَ : (إِنِّى لَا أُحبُّ الآفِلِينْ) [٢]

وَدَعَا القَــوْمَ إِلَى خَالِقِهـا ⠀⠀ وَأَتَى القَوْمَ بِسُلْطَانٍ مُبِينْ [٣]

رَبِّ إِنَّ النَّاسَ ضَــلُّوا وَغَوَوْا ⠀⠀ وَرَأَوْا فى الشَّمْسِ رَأْىَ الخَاسِرِينْ

خَشَعتْ أَبْصارُهُمْ لَمَّا بَدَتْ ⠀⠀ وَإِلَى الأَذْقَانِ خَرُّوا سَاجِدِينْ

نَظَــرُوا آيَاتِهَــا مُبْصِرَةً ⠀⠀ فَعَصَوْا فِيهـا كَلامَ المُرْسَلِينْ

نَظَرُوا بَدْرَ الدُّجَى مِرْآتَهـا ⠀⠀ تَتَجَلَّى فيـه حِيناً بَعْدَ حِينْ .

ثُمَّ قَالُوا : كَيْفَ لَا نَعْبُدُهَا ⠀⠀ هَلْ لهـا فيما تَرَى العَيْنُ قَرِينْ ؟

هِىَ أُمُّ الأَرْضِ فى نِسْبَتِهَا ⠀⠀ هِىَ أُمُّ الكَوْنِ وَالكَوْنُ جَنِينْ [٤]

هِىَ أُمُّ النَّارِ وَالنُّورِ مَعًا ⠀⠀ هِىَ أُمُّ الرِّيحِ وَالْمَاءِ الْمَعِينْ . [٥]

هِىَ طَلْعُ الرَّوْضِ نَوْرًا وَجَنًى ⠀⠀ هِىَ نَشْرُ الْوَرْدِ ، طِيبُ الْيَاسَمِينْ [٦]

هِىَ مَوْتٌ وَحَيَاةٌ لِلوَرَى ⠀⠀ وَضَلَالٌ وَهُدًى لِلغَابِرِينْ

صَــدَقوا لٰـكِنَّهُمْ مَا عَلِمُوا ⠀⠀ أَنَّهَـا خَلْقٌ سَيَبْلَى بِالسِّنِينْ

---

(١) ابراهام : لغة فى إبراهيم ، وهو نبى الله إبراهيم الخليل عليه السلام ؛ ويشير بذلك إلى ماقصه الله تعالى فى القرآن فى سورة الأنعام عن إبراهيم عليه السلام ؛ قال تعالى : « فلما رأى الشمس بازغة الآية : وقوله : « فأرى الشك » إلخ ؛ أى أظهر لقومه أنه شاك فى الإله لكى يهديهم إليه وهو متيقن وجوده .

(٢) أفلت : غابت ⠀⠀ (٣) السلطان : الحجة

(٤) يشير بقوله : « هى أم الأرض » ، إلى مايقال من أن الأرض كانت جزءا من الشمس ثم انفصلت عنها وبرد ظاهرها بتطاول الزمن .

(٥) المعين : النابع من العيون .

(٦) يريد « بالطلع » : مايبدو من الثمرة فى أول ظهورها . ونور النبات بفتح النون : زهره . والجنى : مايجنى من الشجر . ونشر الورد : رائحته المنتشرة منه .

أَ إلهٌ لَمْ يُـنَزَّهْ ذَاتَهُ عن كسُوفٍ ، بِئْسَ زَعْمُ الجاهلينْ
إنَّمَا الشَّمْسُ وَمَا فِي آيِهَا مِنْ مَعَانٍ لَمَعَتْ لِلْعَارِفِينْ
حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ قَدْ مَثَّلَتْ قُدْرَةَ اللهِ لِقَـــومٍ غَافِلِينَ

وقال على لسان اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها :

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصَاتِي وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَيَاتِي (١)
رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي (٢)
وَلَدْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعَرَائِسِي رِجَالاً وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بَنَاتِي (٣)
وَسِعْتُ كِتَابَ اللهِ لَفْظًا وَغَايَةً وَمَا ضِقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ (٤)
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتِ
أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ فَهَلْ سَاءَلُوا الْغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتِي
فَيَا وَيْحَكُمْ أَبْلَى وَتَبْلَى مَحَاسِنِي وَمِنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أُسَاتِي (٥)
فَلَا تَكِلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنَّنِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي (٦)

---

(١) رجعت لنفسى : أى تأملت . والحصاة : الرأى والعقل . واحتسبت حياتى : عددتها عند الله فيما يدخر . يقول على لسان اللغة العربية إنى عدت إلى نفسى وفكرت فيما آل إليه أمرى ، فأسأت الظن بقدرتى ، وكدت أصدق ما رمونى به من القصور ، وناديت الناطقين بى أن ينصرونى فلم أجد منهم سميعاً ، فادخرت حياتى عند الله .

(٢) العداة : الأعداء . يقول : اتهمونى بأنى لا ألد على حين أنى فى ريعان شبابى . وليتنى كنت كما قالوا فلا يحزننى قولهم . ويكنى بالعقم هنا عن ضيق اللغة وجمودها .

(٣) يريد « بالعرائس » الألفاظ المجلوة الحسنة . ووأد البنت : دفنها حية .

(٤) الآى : جمع آية .

(٥) الأساة : جمع الآسى : وهو الطبيب .

(٦) تكلونى : تتركونى . وتحين : تحل .

أَرَى لِرِجَالِ الْغَرْبِ عِزًّا وَمَنْعَةً ... وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتِ [١]

أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِالْمُعْجِزَاتِ تَفَنُّنًا ... فَيَالَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ

أَيُطْرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبٌ ... يُنَادِى بِوَأْدِى فِى رَبِيعِ حَيَاتِى [٢]

وَلَوْ تَزْجُرُونَ الطَّيْرَ يَوْمًا عَلِمْتُمُ ... بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثْرَةٍ وَشَتَاتِ [٣]

سَقَى اللهُ فِى بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظُمًا ... يَعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَاتِى [٤]

حَفِظْنَ وِدَادِى فِى الْبِلَى وَحَفِظْتُهُ ... لَهُنَّ بِقَلْبٍ دَائِمِ الْحَسَرَاتِ

وَفَاخَرْتُ أَهْلَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقُ مُطْرِقٌ ... حَيَاءً بِتِلْكَ الْأَعْظُمِ النَّخِرَاتِ [٥]

أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجَرَائِدِ مَزْلَقًا ... مِنَ الْقَبْرِ يُدْنِينِى بِغَيْرِ أَنَاةِ [٦]

وَأَسْمَعُ لِلْكُتَّابِ فِى مِصْرَ ضَجَّةً ... فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُعَاتِى [٧]

أَيَهْجُرُنِى قَوْمِى — عَفَا اللهُ عَنْهُمُ — ... إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُوَاةِ [٨]

سَرَتْ لُوثَةُ الْأَفْرَنْجِ فِيهَا كَمَا سَرَى ... لُعَابُ الْأَفَاعِى فِى مَسِيلِ فُرَاتِ [٩]

---

(١) يقال : هو فى منعة ، أى فى قوم يمنعونه ويحمونه .

(٢) الناعب : الصوت بما هو مستكره . وربيع الحياة : أيام الشباب والقوة .

(٣) زجر الطير : هو أن ترمى الطائر بحصاة أو تصيح به ، فإن ولاك فى طيرانه ميامنه تفاءلت به خيراً ، وإن ولاك مياسره تطايرت منه . والعثرة : السقوط . والشتات : التفرق . يقول : لو استنبأتم الغيب بزجر الطير ، كما كان يفعل العرب ، لعلمتم مايجر دفنى عليكم من السقوط والانحلال .

(٤) القناة : الرمح . ولينها : كناية عن الضعف . ويريد « بالأعظم » من دفن فى الجزيرة من العرب الأولين .

(٥) النخرات : البالية المتفتتة .

(٦) المزلق : مكان الانزلاق ، أى السقوط والزلل . والأناة : التأنى والإبطاء . ويريد وصف لغة الجرائد إذ ذاك بالضعف .

(٧) النعاة : جمع ناع ، وهو المخبر بالموت .

(٨) لم تتصل برواة . أى لم يأخذها الخلف عن السلف بطريق الرواية التى تحفظها من الغير كما هو الشأن فى العربية . ويشير إلى تلك اللغة المرقعة التى كانت مستعملة أيام نشر هذه القصيدة ؛ وكان ذلك فى سنة ١٩٠٣ .

(٩) اللوثة بالضم : عدم الإبانة . ولعاب الأفاعى : سمها . والفرات : الماء العذب .

فجاءت كثوبٍ ضمّ سبعين رقعةً ... مشكّلةَ الألوانِ مختلفات

إلى معشرِ الكتّاب والجمعُ حافلٌ ... بسطتُ رجائى بعد بسطِ شكاتى [١]

فإمّا حياةٌ تبعثُ الميتَ فى البلى ... وتُنبتُ فى تلك الرموسِ رُفاتى [٢]

وإمّا مماتٌ لا قيامةَ بعدهُ ... مماتٌ لعمرى لم يُقسْ بممات

ومن قصيدة له دعاها « غادة اليابان » ضمّنها غرامه بغادة يابانية ؛ وأشاد بالشجاعة التى ظهرت بها أمة اليابان فى الحرب بينها وبين روسيا :

لا تلُمْ كفّى إذا السيفُ نبا ... صحّ منّى العزمُ والدهرُ أبى [٣]

رُبّ ساعٍ مُبصرٍ فى سعيِه ... أخطأ التوفيقَ فيما طلبا

مرحباً بالخطبِ يبلونى إذا ... كانت العلياءُ فيه السببا [٤]

عقّنى الدهرُ ولولا أنّنى ... أوثرُ الحسنى عققتُ الأدبا [٥]

إيه يا دنيا اعبسى أو فابسمى ... لا أرى برقكِ إلّا خُلّبا [٦]

أنا لولا أنّ لى من أمّتى ... خاذلاً ما بتُّ أشكو النُّوبا

أمّةٌ قد فتّ فى ساعدِها ... بغضُها الأهلَ وحبُّ الغُربا [٧]

---

(١) الشكاة : الشكوى .

(٢) تبعث الميت : تحييه . والرموس : القبور ، الواحد رمس . والرفات : كل ما تكسر وبلى ، يريد ما بقى من الجسد بعد الموت .

(٣) نبا السيف : كل وارتد .

(٤) يبلونى : يختبرنى .

(٥) عقه : ترك الإحسان إليه ولم يبر به . يقول إن الدهر لم ينصفنى ، والجانى على هو أدبى ، ولولا أننى أوثر الإحسان لهجرت الأدب الذى كان سبباً فى شقائى .

(٦) البرق الخلب : الذى يطمع الناس فى مطره ويخلفهم .

(٧) فت فى ساعدها : عبارة يكنى بها عن الإضعاف وإيهان القوى .

تَعْشَقُ الأَلْقَابَ فى غيرِ العُلا ... وَتُفَدِّى بالنُّفُوسِ الرُّتَبَا

وَهِيَ وَالأحْدَاثُ تَسْتَهْدِفُها ... تَعْشَقُ اللَّهْوَ وَتَهْوَى الطَّرَبا[1]

لا تُبَالِى لعِبَ القَوْمُ بِها ... أَمْ بِها صرْفُ اللَّيالِى لَعِبا[2]

لَيْتَهَا تَسْمَعُ مِنِّى قِصَّةً ... ذَاتَ شَجْوٍ وَحَدِيثاً عجباً[3]

كُنْتُ أَهْوَى فى زَمَانِى غَادَةً ... وَهَبَ اللهُ لهَا مَا وَهَبَا[4]

ذَاتَ وَجْهٍ مَزَجَ الحُسْنُ بِهِ ... صُفْرَةً تُنْسِى الْيَهُودَ الذَّهَبَا

حَمَلَتْ لِى ذَاتَ يَوْمٍ نَبأ ... لا رَعاكَ اللهُ يا ذاكَ النَّبَا

وَأَتَتْ تَخْطِرُ وَاللَّيْلُ فَتًى ... وَهِلالُ الأُفْقِ فى الأُفْقِ حَبَا[5]

ثُمَّ قَالَتْ لِى بِثَغْرٍ باسِمٍ ... نَظَمَ الدُّرَّ بِهِ وَالْحَبَبَا[6]

نَبِّئُونِى بِرَحيلٍ عَاجِلٍ ، ... لا أَرَى لِى بَعْدَهُ مُنْقَلَبا[7]

وَدَعَانِى مَوْطِنِى أَنْ أَغْتَدِى ... علَّنِى أَقْضِى لَهُ مَا وَجَبا[8]

نَذْبَحُ الدُّبَّ وَنَفْرِى جِلْدَهُ ... أَيَظُنُّ الدُّبُّ أَلَّا يُغْلَبا[9]

---

(١) والأحداث تستهدفها : أى أن حوادث الدهر تجعلها هدفاً لها ترميه .

(٢) يريد « بالقوم » : الإنجليز . وصروف الليالى : غيرها ونوائبها ، أى أنها لا تعبأ بحوادث الزمان تصيبها من المحتلين أو من الدهر .

(٣) يقال شجاه شجواً ، إذا هيج أحزانه وشوقه .

(٤) الغادة : المرأة الناعمة اللينة .

(٥) والليل فتى : أى فى أوله . وشبه الهلال فى أول طلوعه بالطفل الذى يحبو فى مهده .

(٦) الحبب : الفقاقيع التى تعلو سطح الماء ، شبه بها الأسنان فى بياضها .

(٧) المنقلب : العودة والرجوع . (٨) أغتدى : أى أبادر مبكرة للدفاع عنه .

(٩) الدب : رمز تعرف به روسيا ، كما تعرف انجلترا بالأسد ، واليابان بالتنين ، وألمانيا بالنسر . ونفرى : نشق ويشير بهذا البيت إلى الحرب التى نشبت بين اليابان وروسيا فى ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م . وانتهت بالصلح فى يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٠٥ م .

قلتُ وَالآلامُ تفْرِى مُهْجَتِى ... وَيْك ، مَا تَصْنَعُ فِى الْحَرْبِ الظبَا (١)

مَا عَهِـدْنَاهَا لِظَبْىٍ مَسْرَحاً ... يَبْتَغِى مَلْهًى بِهِ أَوْ مَلْعَبَا

لَيْسَتِ الْحَرْبُ نُفُوساً تَشْـتَرَى ... بِالتَّمَـنِّى أَوْ عُقُولاً تُسْتَبَى (٢)

أَحَسِبْتِ الْقَدَّ مِنْ عُـدَّتِهَا ... أَمْ ظَنَنْتِ اللَّحْظَ فِيهَا كَالشَّبَا (٣)

فَسَلِينِى ، إِنَّنِى مَارَسْتُهَـا ... وَرَكِبْتُ الْهَوْلَ فِيهَا مَرْكَبَا (٤)

وَتَقَحَّمْتُ الرَّدَى فِى غَارَةٍ ... أَسْـدَلَ النَّقْعُ عَلَيْهَـا هَيْدَبَا (٥)

قَطَّبَتْ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا لَنَـا ... فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ فِيهَـا قَطَّبَا (٦)

جَالَ عَزْرَائِيـلُ فِى أَنْحَائِهَا ... تَحْتَ ذَاكَ النَّقْعِ يَمْشِى الْهَيْدَبَى (٧)

فَدَعِيهَـا لِلَّذِى يَعْرِفُهَـا ... وَالْزَمِى يَا ظَبْيَةَ الْبَانِ الْخِبَا (٨)

فَأَجَابَتْنِى بِصَـوْتٍ رَاعَنِى ... وَأَرَتْنِى الظَّبْىَ لَيْثاً أَغْلَبَـا (٩)

إِنَّ قَوْمِى اسْتَعْذَبُوا وِردَ الرَّدَى ... كَيْفَ تَدْعُونَنِى أَلَّا أَشْرَبَا ؟

---

(١) الظبا : الظباء وقصر لضرورة الشعر . (٢) تستبى : تؤسر بالحب .

(٣) القد : القامة . والشبا : جمع شباة ، وهى حد السنان .

(٤) مارستها : أى اشتركت فيها .

(٥) تقحمت الردى : رميت بنفسى فى غمرته . والنقع : الغبار . والهيدب : السحاب المتدلى من أسافله . وإثارة الغبار وكثرته وارتفاعه فى الحرب ، كناية عن شدتها وكثرة الكر والفر فيها .

(٦) التقطيب : العبوس . والضمير فى (قطب) للغارة .

(٧) الهيدبى (بالمعجمة والمهملة) : نوع من المشى فيه جد . ويشير بهذا البيت إلى كثرة ما تخطفه عزرائيل فى هذه الحرب .

(٨) البان : شجر سبط القوام لين ، ورقه كورق الصفصاف ، تألفه الظباء . والخبا (بالقصر) : الخباء (بالمد) وقصر لضرورة الشعر . وهو فى الأصل : البيت من وبر أو صوف ، ويريد به البيت عامة .

(٩) راعنى : أفزعنى ، والأغلب من السباع : الغليظ الرقبة وهى علامة القوة يقول إنها غضبت من تنقصه لها وأنها لا تصلح للحرب فأجابته بصوت أفزعه لشدته وقسوته واستحالت من ظبي وادع إلى أسد قوي .

أنا يابانيـــة لا أنثنى عَنْ مُرَادِى أَوْ أَذُوقَ العَطَبَا[١]

أنا إنْ لَمْ أُحْسِنِ الرَّمْىَ وَلَمْ تَسْتَطِعْ كَفَّاىَ تَقْلِيبَ الظُّبَا[٢]

أَخْدُمُ الْجَرْحَى وَأَقْضِى حَقَّهُمْ وَأُوَاسِى فِى الْوَغَى مَنْ نُـكِبَا[٣]

هٰـكَذَا (الميكادُ) قَدْ عَلَّمَنَا أَنْ نَرَى الْأَوْطَانَ أُمًّا وَأَبَا[٤]

مَلِكٌ يَـكْفِيكَ مِنْـــهُ أَنَّهُ أَنْهَضَ الشَّرْقَ فَهَزَّ الْمَغْرِبَا

وَإِذَا مَارَسْـتَهُ أَلْفَيْتَـــهُ حُوَّلاً فِى كُلِّ أَمْرٍ قُلَّبَا[٥]

كَانَ وَالتَّاجُ صَـغِيرَيْنِ مَعاً وَجَلاَلُ الْمُلْكِ فِى مَهْدِ الصِّبَا

فَغَــدَا هٰـذَا سَمَاءً لِلْعُلاَ وَغَدَا ذَلِكَ فِيهَا كَوْكَبَا

بَعَثَ الْأُمَّــةَ مِنْ مَرْقَدِهَا وَدَعَاهَا لِلْعُلاَ أَنْ تَدْأَبَا[٦]

فَسَمَتْ لِلْمَجْدِ تَبْغِى شَأْوَهُ وَقَضَتْ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ مَا رَبَا[٧]

---

(١) العطب : الهلاك .

(٢) الظبا : جمع ظبة (بضم الأول) وهى حد السيف أو السنان .

(٣) الوغى : الحرب ، لما فيها من الصوت والجلبة .

(٤) الميكادو : لقب لملك اليابان .

(٥) الحول : الشديد الاحتيال ، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ فى أخرى . والقلب : البصير بتقلب الأمور .

(٦) تدأب : تجد فى طلبها .

(٧) الشأو : الغاية .

١٩ – شـــوقى (١)

قال من قصيدة له يصف فيها دمشق :

آمَنْتُ بالله واسْتَثْنَيْتُ جَنَّتَهُ ... دِمَشْق رَوْحٌ وجَنَّاتٌ وَرَيحَانُ

قَالَ الرِّفَاقُ وَقَدْ هَبَّتْ خَمَائِلُهَا ... الأرض دار لها (الفيحاء) بُسْتَانُ (٢)

جَرَى وَصَفَّقَ يَلْقانَا بِهَا (بَرَدَى) ... كما تَلَقَّاكَ دُونَ الْخُلْدِ رِضْوَانُ (٣)

دَخَلْتُهَا وَحَوَاشِيهَا زُمُرُّدَةٌ ... والشَّمْسُ فَوْقَ لُجَيْنِ المَاءِ عِقْيانُ (٤)

والحورُ فى (دُمَّرٍ) أو حول (هامَتِها) ... حُورٌ كَوَاشِفُ عَنْ سَاقٍ وَوِلْدَانُ (٥)

و (رَبْوَةُ) الواد فى جلباب رَاقِصَةٍ ... السَّاقُ كَاسِيَةٌ والنَّحرُ عُرْيَانُ

والطَّيْرُ تَصْدَحُ مِنْ خَلْفِ العُيُونِ بها ... وَلِلْعُيُونِ كما للطَّيْرِ أَلْحَانُ

وَأَقْبَلَت بالنَّبَاتِ الأرْضُ مُخْتَلِفاً ... أَفْوَافُهُ فَهْوَ أَصْبَاغٌ وَأَلْوَانُ (٦)

---

(١) هو أحمد شوقى بك ابن أحمد شوقى بك ولد بالقاهرة ونشأ فيها . على أن أصله ، كما يحدث هو عن نفسه ، عربى تركى يونانى ، جركسى . وكانت نشأته فى كنف بيت الملك ، وقد تقدم فى العلم حتى دخل مدرسة الحقوق صغير السن . فلبث فيها سنتين ، ثم أنشئ بها قسم للترجمة فلبث فيه سنتين أخريين وحصل على الإجازة النهائية ، ثم أوفده المرحوم الخديو توفيق على نفقته إلى فرنسا ليدرس الحقوق والآداب فلما عاد ألحقه بمعيته ، فلبث فى المعية الخديوية حتى نشبت الحرب العظمى فى سـنة ١٩١٤ فترك مصر وعاش فى أسبانيا ، ثم عاد إلى مصر .

وهو أشهر شعراء هذا العصر ، ومن أطولهم نفساً ، وأكثرهم تصرفاً فى فنون الشعر حتى لقد اصطلح جمهور الأدباء فى العالم العربى على تلقيبه « بأمير الشعراء » . توفى إلى رحمة الله فى سنة ١٩٣٢ م .

(٢) الفيحاء : دمشق .

(٣) بردى : نهر دمشق .

(٤) اللجين بضم اللام وفتح الجيم : الفضة . والعقيان : الذهب الخالص .

(٥) دمر : ضاحية دمشق . الحور الأولى : شجر عظيم يشبه السرو . والحور الثانية : جمع حوراء . وهى المرأة فى عينها حور ، أى شدة بياضها مع شدة سوادها ، والمراد بالحور : الحسان .

(٦) أفوافه : جمع فوف بالضم ، نوع من الثياب . والمراد هنا الزهر .

وَقد صَفَى (بَرَدَى) للرِّيح فَابتَرَدَتْ ... لَدَى سُتُورٍ حَوَاشِيهِنَّ أَفنَانُ[١]
ثم انثَنَتْ لم يَزُلْ عنها البِلَالُ وَلَا ... جَفَّتْ منَ المَاءِ أَذْيَالٌ وَأَرْدَانُ[٢]

وقال يتغزل :

تَأْبَى الدَّلَالَ سجِيَّةً وتَصَنُّعَا ... وَأَرَاكَ فى حَالَىْ دَلَالِك مُبْدِعا
تِهْ كَيْفَ شِئْتَ فما الجمالُ بحاكمٍ ... حتى يُطَاعَ عَلَى الدَّلال وَيُسْمَعَا
لكَ أَنْ يُرَوِّعَك الوُشَاةُ من الهوَى ... وَعَلَى أَنْ أَهْوَى الْغزالَ مُرَوَّعَا
قالوا : لقد سَمِع الغزالُ لمن وَشَى ... وأقول : ما سَمِعَ الْغزالُ وَلَا وَعَى
أَنَا مَنْ يُحِبّكَ فى نِفَارِكَ مُؤنِسًا ... وَيُحِب تِيهكَ فِى نِفَارِكَ مُطمِعا
قدّمتُ بين يَدَىَّ أَيامَ الهوَى ... وَجعلتُها أَمَلاً عليكَ مُضَيَّعَا
وَصَدَقْت فى حبِّى ولستُ مُبَالِيًا ... أن أُمْنَحَ الدنيا بِهِ أَوْ أُمْنَعَا

وقال يتغزل أيضا :

رُدَّتْ الرُّوحُ عَلَى الْمُضْنَى معَكْ ... أَحْسَنُ الأَيامِ يومٌ أَرْجَعَكْ[٣]
مَرَّ مِنْ بُعدِك ما روَّعَنى ... أَتُرَى يا حُلْوُ بُعدى رَوَّعك ؟
كم شَكَوْتُ البَيْنَ بالليل إلى ... مَطْلع الفجْرِ عَسَى أَنْ يُطْلِعَك
وَبَعَثْتُ الشوقَ فى ريح الصَّبا ... فَشَكا الْحُرْقَةَ مِمَّا اسْتودعك

---

(١) ابتردت : اغتسلت .
(٢) البلال : أى البلل . أردان : جمع ردن بضم الراء (وسكون الدال) وهو الكم .
(٣) ضنى الرجل على وزن علم : مرض فتمكن منه الضعف والهزال .

يا نَعِيمى وَعَذَابِى فى الهَــوَى ... بِعَذُولى فى الهوَى مَا جَمعَك ؟

أَنتَ رُوحى ، ظَلَمَ الواشى الذى ... زَعَمَ القلبَ سَـلَا أَوْ ضَيَّعَك [١]

مَوقِعى عنـــدكَ لا أَعْلَمُه ... آه لو تعلم عنـــدى موقعَك

أَرجَفُوا أَنَّك شــــاكٍ مُوجَعٌ ... لَيتَ لِى فَوْقَ الضَّنَا مَا أوجَعَك

نامت الأَعـيُن إلاّ مُقْـلَةً ... تَسْـكُبُ الدَّمعَ وَتَرْعَى مَضْجَعَك

وقال يصف الطبيعة فى طريقه إلى الآستانة قادماً من أوربا :

تلك الطَّبيعةُ قِفْ بنـا يا سَـارى ... حتى أُريكَ بَدِيعَ صُنْعِ البـارى

الأَرْضُ حَوْلَكَ وَالسماءُ اهْتَزَّتا ... لِرَوائِعِ الآياتِ والآثار

مِنْ كلّ ناطقة الجَلالِ كأَنَّهـا ... أُمُّ الـكتاب عَلَى لِسَان القارى [٢]

دَلَّت عَلَى مَلك الملوك فلم تَدَعْ ... لِأَدلَّة الفُقهـاء وَالأَحْبـار [٣]

من شَكَّ فيه فنظرةٌ فى صُنْعه ... تَمْحُو أَثيمَ الشكِّ وَالإنـكار

***

كُشفَ الغطاءُ عَلَى الطرول وأشرقَتْ ... منه الطبيعةُ غيرَ ذات سِتَار

شبهتُها (بِلْقِيْسَ) فوق سَرِيرِهَا ... فِى نَضْرَةٍ ومواكِبٍ وَجَوَارى

---

(١) سلا : سلاك أى نسيك .

(٢) أم الـكتاب : فاتحته .

(٣) الأحبار : جمع حبر وهو العالم وقيل الصالح من العلماء .

أو (بابن داودٍ) وَواسعِ مُلْكِهِ ... وَمَعالِمٍ للعزِّ فيه كبارِ (١)
هُوجُ الرياحِ خَواشِعٌ فِي بابِهِ ... وَالطَّيْرُ فِيه نَواكِسُ المِنْقارِ (٢)

* * *

قَامَتْ عَلَى ضَاحِي الجِنانِ كأنّها ... رضْوانُ يُزْجِي الخُلدَ للأَبْرَارِ (٣)
كم في الخَمائلِ ؛ وهْيَ بعضُ إمائِهَا ... من ذاتِ خَلْخَالٍ وذاتِ سوارِ (٤)
وَحَسيرةٍ عنها الثيابُ وَبَضَّةٍ ... في النَّاعماتِ تجُرّ فَضْلَ إزارِ (٥)
وَضَحُوكِ سنٍّ تملأُ الدُّنيا سنًى ... وَغَرِيقَةٍ في دَمْعِها المِدْرَارِ
وَوَحِيدةٍ بالنَّجْدِ تشكو وَحْشَةً ... وكَبِيرةِ الأَتْرَابِ بالأَغْوَارِ (٦)

* * *

ولقد تَمُرُّ عَلَى الغَديرِ تَخَالُهُ ... وَالنَّبْتَ مِرآةً زَهَتْ بإطَارِ (٧)
حُلْوُ التَّسَلْسُلِ مَوْجُهُ وَخَرِيرُه ... كأنامِلٍ مَرَّتْ عَلَى أَوْتَارِ
سَدَّتْ سَوَاعِدَ مائِهِ وَتَأَلَّقَتْ ... فيها الجَواهرُ مِنْ حَصًى وَجِمَارِ (٨)
يَنْسَابُ في مُخْضَلَّةٍ مُبْتَلَّةٍ ... مَنسوجةٍ مِنْ سُنْدُسٍ وَنُضَارِ (٩)

---

(١) المعالم : جمع معلم وهو ما يستدل به على الطريق من أثر ونحوه .
(٢) هوج . جمع هوجاء ، والريح الهوجاء التي لا تستوى في هبوبها وتقلع البيوت .
(٣) الضاحى : المكان البارز . يزجى : يسوق ويستحث .
(٤) الإماء : الجوارى .
(٥) الإزار : الملحفة وكل ما ستر .
(٦) النجد : ما ارتفع من الأرض . الغور : القعر من كل شيء .
(٧) إطار الشيء : كل ما أحاط به والمعنى أن الغدير بما استدار على حافته من الزهر كأنه مرآة لها إطار .
(٨) جمار : جمع جمرة وهى الحصى .
(٩) اخضل الشيء : صار نديا بليلا . النضار : الذهب .

زَهْرَاءَ عَوْنَ الْعَاشِقِينَ عَلَى الهوَى مُخْتَارَةَ الشُّعَرَاءِ فِي آذار
قَامَ الْجَلِيدُ بِهَا وَسَالَ كَأَنَّه دَمْعُ الصَّبَابَةِ بَلَّهَ غصْنَ عذَار
وَتَرَى السَّماءَ ضحًى وَفِي جُنْحِ الدُّجَى[1] مُنْشَقَّةً عَنْ أَنْهُرٍ وَبِحَار
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ سَلَكْتَ وَمَذْهَبٍ جَبَلَانِ مِنْ صَخْرٍ وَمَاءٍ جَارِي

وقال فى وصف الطيارة ، وهذا من أبرع الكلام :

نِصْفُهُ طَيْرٌ وَنِصْفٌ بَشَرٌ يَالَهَا إِحْدَى أَعَاجِيبِ القَضَاءِ!
حَمَلَ الفولاذُ رِيشاً وَجَرَى فِي عنانَيْن لَهُ : نَارٌ وَمَاءٌ
وَجَنَاحٍ غَيْرِ ذِي قَادِمَةٍ كَجَنَاحِ النَّحْلِ مَصْقُولٍ سَوَاءٍ
وَذُنَابَى ، كُلُّ رِيحٍ مَسَّهَا مَسَّهُ صَاعِقَةٌ مِنْ كَهْرَبَاءِ
يَتَرَاءَى كَوْكَباً ذَا ذَنَبٍ فَإِذَا جَدَّ فَسَهْماً ذَا مَضَاءِ
فَإِذَا جَازَ الثُّرَيَّا لِلثَّرَى جَرَّ كَالطَّاوُوسِ ذَيْلَ الْخُيَلَاءِ

ومن قصيدة له دعاها : (الأندلس الجديدة) :

يَا أُخْتَ أَنْدَلُسٍ عَلَيْكِ سَلَامُ هَوَتِ الْخِلَافَةُ عَنْكِ وَالْإِسْلَامُ[2]
نَزَلَ الْهِلَالُ عَنِ السَّماءِ فَلَيْتَهَا طُوِيَتْ وَعَمَّ الْعَالَمِينَ ظَلَامُ
أَزْرَى بِهِ وأزاله عن أَوجِهِ قَدَرٌ يَحُطُّ الْبَدْرَ وَهْوَ تَمَامُ[3]

---

(١) الدجى : الظلمة أو سواد الليل .

(٢) يا أخت أندلس : يخاطب مدينة أدرنة وقد كانت من أمهات المدن العثمانية فى مقدونية وبها مقابر كثيرين من سلاطين آل عثمان ، جاءت الأنباء بغلبة البلغار عليها فى الحرب سنة ١٩١٣ بعد أن أبلت حاميتها فى الدفاع عنها بلاء حسناً .

(٣) أزرى به : وضع من شأنه . الأوج : العلو .

جُرْحانِ تَمْضِى الْأُمَّتانِ عليهما : هـذا يَسِيل وَذاكَ لا يَلْتامُ(١)

بكما أُصِيبَ المسلمونَ وَفِيكما دُفِنَ الْيَراعُ وَغُيِّبَ الصَّمصامُ(٢)

لَمْ يُطْوَ مَأْتَمُها ، وهـذا مأْتَمٌ لَبِسُوا السَّوادَ عَلَيْك فيهِ وقامُوا(٣)

مَا بَيْنَ مَصْرَعِها وَمَصْرَعِك انْقَضَتْ فيما نُحِبُّ وَنَكْرَهُ الْأَيَّامُ

خلَت القُرُونُ كلَيْلَةٍ وَتَصَرَّمَتْ دُوَلُ الفُتُوحِ كأَنَّها أَحْلامُ(٤)

وَالدَّهْرُ لا يأْلُو الْمَمالِكَ مُنْذِرًا فَإِذا غَفَلْنَ فَمَا عليهِ مَلامُ(٥)

***

مقدونيا ، والمسلمونَ ، عَشِيرَةٌ كَيْفَ الخُؤولةُ فيك وَالْأَعْمامُ !(٦)

أَتَرَيْنَهُمْ هانوا ، وكان بِعِزِّهم وَعُلُوِّهم يَتَخايَلُ الْإِسْلامُ(٧)

إِذْ أَنْتِ نابُ اللَّيْث ، كُلُّ كَتِيبَةٍ طَلَعَتْ عليكِ فَرِيسَةٌ وطعامُ(٨)

ما زالت الأَيَّامُ حتَّى بُدِّلَتْ وَتَغَيَّرَ السَّاقى ، وَحالَ الجامُ(٩)

---

(١) جرحان : أحدهما خروج أدرنة من أيدى المسلمين ، والثانى خروج الأندلس من أيديهم . الأمتان هم العرب أيام نكبة الأندلس ، والترك أيام ضياع أدرنة .

(٢) اليراع : يريد القلم ، والصمصام : السيف .

(٣) لم يطو مأتمها : أى مأتم الأندلس .

(٤) خلت : مضت . تصرمت : انقضت .

(٥) لا يألو : لا يقصر ولا يبطىء .

(٦) مقدونيا : اسم الإقليم الذى تقع فيه أدرنة . العشيرة : قبيلة الرجل . الخؤولة : نسبة إلى الخال كالعمومة وهى النسبة إلى العم .

(٧) يتخايل : يتبختر .

(٨) إذ أنت ناب الليث : أى مثل الليث فى أنه مخوف لا يمكن الوصول إليه . الكتيبة : الجيش ، وقيل القطعة منه . والمعنى أن الإسلام كان يتخايل بعز أبنائه فى مقدونيا حينما كانت ممتنعة على العدو كامتناع الليث على من يريده ، وحينما كانت تفنى دونها جيوش الأعداء .

(٦) حال : تحول من حال إلى حال . والجام : إناء من فضة تسق فيه الخمر .

أَرَأَيْتِ كَيْفَ أُدِيلَ مِنْ أُسْدِ الشَّرَى ... وَشَهِدتِ كَيْفَ أُبِيحَتِ الآجَامُ (١)

زَعَمُوكِ هَمًّا لِلْخِلافَةِ نَاصِباً ... وَهَلِ الْمَمَالِكُ رَاحَةٌ وَمَنَامُ (٢)

وَيَقُولُ قَوْمٌ : كُنْتِ أَشْأَمَ مَوْرِدٍ ... وَأَرَاكِ سَائِغَةً عليكِ زحامُ

وَيَرَاكِ داءَ الْمُلْكِ ناسٌ جَهَالَةً ... بالْمُلْكِ منهم عِلَّةٌ وَسَقَامُ

لو آثروا الإِصْلَاحَ كنتِ لعرشهم ... رُكْناً عَلَى هامِ النُّجُومِ يُقَامُ (٣)

وَهَمٌ يُقَيِّدُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِهِ ... وَقُيُودُ هٰذَا الْعَالَمِ الأَوْهَامُ

صُوَرُ الْعَمَى شَتَّى ، وَأَقْبَحُهَا إِذَا ... نَظَرَتْ بِغَيْرِ عُيُونِهِنَّ الْهَامُ

وَلَقَدْ يُقَامُ مِنَ السُّيُوفِ ، وَلَيْسَ مِنْ ... عَثَرَاتِ أَخْلَاقِ الشُّعُوبِ قِيَامُ

ومن روائع حكمه ، وما جرى من شعرهِ مجرى الأمثال . قوله :

وإنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ ... فَإِنْ هُمُو ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

***

وَإِذَا أُصِيبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ ... فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأْتَماً وَعَوِيلاً

***

وَمَا السِّلاحُ لِقَوْمٍ كُلَّ عُدَّتِهِمْ ... حَتَّى يَكُونُوا مِنَ الأَخْلَاقِ فِي أُهَبِ

***

---

(١) أديل منها : صارت مغلوبة بعد أن كانت غالبة . والشرى : مكان تكثر فيه الأسود . الآجام : جمع أجم ، وهو الشجر الملتف تألفه الأسود أيضاً .

(٢) الهم الناصب : المتعب .

(٣) لو آثروا الإصلاح : أى لو اختاروه . الهام : جمع هامة ، وهى رأس كل شىء .

عَلَى الْأَخْلَاقِ خُطُّوا الْمُلْكَ وَابْنُوا   فَلَيْسَ وَرَاءَهَا لِلعِزِّ رُكْنُ

* * *

وَلَيْسَ بِعَامِرٍ بُنْيَانُ قَوْمٍ   إِذَا أَخْلَاقُهُمْ كَانَتْ خَرَابَا

* * *

وَلَا الْمَصَائِبُ إِذْ يُرْمَى الرِّجَالُ بِهَا   بِقَاتِلَاتٍ إِذَا الْأَخْلَاقُ لَمْ تُصَبِ

* * *

أَعَلِمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الَّذِي   يَبْنِي وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولَا ؟

* * *

وَلَيْسَ بِالْفَاضِلِ فِي نَفْسِهِ   مَنْ يُنْكِرُ الْفَضْلَ عَلَى رَبِّهِ

* * *

مَا أَصْعَبَ الْفِعْلَ لِمَنْ رَامَهُ   وَأَسْهَلَ الْقَوْلَ عَلَى مَنْ أَرَادْ

* * *

رَبِّ إِنْ شِئْتَ فَالْفَضَاءُ مَضِيقٌ   وَإِذَا شِئْتَ فَالْمَضِيقُ فَضَاءُ

* * *

* وَاسْتَقِيمُوا يَفْتَحِ اللهُ لَكُمْ بَابًا فَبَابَا *

* * *

وَالْجَهْلُ مَوْتٌ فَإِنْ أُوتِيتَ مُعْجِزَةً فَابْعَثْ مِنَ الْجَهْلِ أَوْ فَابْعَثْ مِنَ الرَّجَمِ

* * *

صَلَاحُ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجِعُهُ فَقَوِّمِ النَّفْسَ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِمِ
وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرِ عَافِيَةٍ وَالنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرْتَعٍ وَخِمِ

* * *

* الْمَوْتُ بِالزَّهْرِ مِثْلُ الْمَوْتِ بِالْفَحَمِ *

تم بعون الله تعالى طبع هـذا الكتاب فى يوم السبت ٢٢ ذى الحجة سـنة ١٣٧٣ هـ (الموافق ٢١ أغسطس سـنة ١٩٥٤ م) بمطابع
دار الكتاب العربى لصاحبها ومديرها محمد حلمى المنياوى